

دعوة للإنتحار



فارس التميمي

# دعوة للإنتحار

رواية

- الكتاب : دعوة للإنتحار
- المؤلف : فارس التميمي

• الطبعة الأولى : 2017

لوحة الغلاف : لوحة زيتية للمؤلف عنوانها :  
(Unreachable Destiny - غاية لا تدرك -)

تصميم الغلاف : علي حمدان

© جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

ISBN: Da'wa Lil Intihar 978-0-9738853-6-1 Canada

التوزيع : الفرات للنشر والتوزيع

ص . ب : 6435 / 113 بيروت - لبنان

هاتف : 961 1 750054

فاكس : 961 1 750053

التوزيع عبر الإنترنت : [WWW.alfurat.com](http://WWW.alfurat.com)

# دعوة للإنتحار

ليست العبرة بأحداث القصة...!  
بل،،، بقيمة وسلوك الشخصيات التي تخلق أحداث القصة!  
إنّ أفضل قصة،، هي قصة لا تنتهي،،  
قصة،، تستمر مع الشخوص والأحداث،،  
تعيش وتكرر!!

فارس التميمي

## إهداء

إلى كل من سُلِبَت حقوقهم،  
إلى كل من سُلِبَت إراداتهم،  
إلى كل من أُجبروا على تنفيذ إرادات الآخرين،

## الصباح الكئيب

في الصباح، يفتح "بوب" باب منزله ليخرج متثاقلاً متردداً في مشيته، على غير عادته في صباح كل يوم يذهب فيه لمكتبه للعمل في شركته الخاصة. لقد كان معتاداً معظم الأيام أن يخرج بهمة ويخطوا خطواته بنشاط وجدية، لكنه اليوم يخرج وكأن شيئاً قوياً يُمسكه وهو يتوجّه نحو سيارته الواقفة على جانب الممرّ أمام بوابة المنزل، لكي يستقلّها للذهاب لمكتبه. يفتح باب السيارة ويدخل ليجلس خلف المقود، وهو شارد الذهن!

يتردد للحظات قبل أن يُدور محرك السيارة، والشroud الذي لم يعتده مازال يغلب عليه ويبطئ من حركته،، وكأنه لا يشعر بالرغبة في الذهاب للمكتب،، لكنه في نفس الوقت كانت تدفعه رغبة قوية في إستكشاف ما يدور في الخارج، خارج البيت والتعرف على الأحداث عن قرب أكثر.

يُدير مفتاح السيارة لكي يُدَوّر المحرّك،، ثم بعدها بثوان يضغط على زرّ الراديو لكي يسمع الأخبار، وهو الذي لم يعتد سماع الأخبار من راديو سيارته،، كما أنه لا يعرف حتى مواقع قنوات الأخبار،، ظلّ يُقلّب بين المحطات الإذاعية محاولاً تحصيل إحدى القنوات الإخبارية التي يعرفها،، تبدو له المحاولات غير ما كان ينتظر، وشعر أنه ربما من الأفضل أن يضغط زرّ الراديو مرة أخرى، لينعم بالهدوء وهو يبدأ مشواره في طريقه لمكتبه.

كل شيء من حوله في صباح هذا اليوم يبدو كئيباً،، الهواء يبدو ثقيلًا ومُشبعًا بالرطوبة رغم أن الجوّ كان صحواً ولم تكن غير غيوم ناصعة البياض متناثرة تسبّح مُعلّقة في سماء صافية الزرقة تبدو لكل من ينظر لها بعين أخرى أنها علامات صباح مليئٍ بما يستبشر به من كان مستبشراً من داخله!

أمّا "بوب" فإنه لم يكن هكذا هذا الصباح، لم يكن مستبشراً، لكنه يدرك تماماً أنه لا علاقة لما يشعر به الآن بالحقيقة الفعلية، وأن هذه الكآبة التي يشعر بها إنما هي مما يتحرك في داخله من مشاعر تجاه ما يسمعه من أخبار حول ما يدور ربما من أحداث فعلية من حوله، وأن الأمر ليس أكثر من مجرد مصادفة،، ولا علاقة له بهذه الدعوة الغريبة،، فهو ليس ممن يؤمنون بأن

الطبيعة تكتئب عندما يقرر البشر فعل أمرٍ سيئ، أو عندما يرتكبوا جريمة بحق أنفسهم! كما أنه لطالما مرّ بمثل هذه المواقف التي قد تشير بعض الظواهر الطارئة إلى أنها تبدو لها علاقة بحدث معيّن، يقع في وقت ما وفي مكان ما، ولكن سرعان ما يتبيّن بعدها أن تلك الظواهر لم تكن غير مصادفات مجردة، ينتبه لها الإنسان عندما يعيش أوقاتاً تدفع فكره باتجاه معيّن، يُصوّر له أن كل ما حوله متعلق بهذا الحدث ومرتبطة به!!

لقد كان "بوب" دوماً واقعي التفكير، وقد أدرك ومنذ أن تجاوز عمر الشباب خصوصاً، أن الحياة لا تعبأ بأحد، إن قرّر الذهاب يميناً أو يساراً، فهي لا تتوقف عند أحد، ولا تتغيّر وجهتها حركة الملايين من الناس، إذا ما أحبوا هذه الحياة، أو كرهوها ولم يشعروا بالرغبة في البقاء فيها للمعاناة، أو للتنعم فيها!

في بداية طريقه وهو ما يزال يقود سيارته داخل المجمع السكني الراقي الذي يقع فيه منزله، بدت له البيوت الفخمة اليوم أكثر صمتاً وجموداً، بدت فاقدة لزرّوها ورونقها، وكانت الشوارع الداخلية بين البيوت بلا حركة، هكذا رآها، أو ربما هو الذي تصور لها هكذا، نتيجة لما تميّز به

هذا اليوم من كآبة ووضع غريب، وأخبار أكثر غموضاً وغبابة! وعندما وصل لنهاية شارع المجمع السكني، وإستدار يميناََ ليدخل الى الشارع العام الذي يسلكه يومياََ، بدأ يُقَلِّب نظراته يميناََ ويساراً وهو يقود سيارته ببطئ، مقارنةً بالسرعة التي كان يقود بها يومياََ في نفس الشارع، ينظر بنظراته العابرة السريعة لكل ما يمكنه رؤيته، فقد بدت له الشوارع اليوم غير ما قد تعود رؤيتها يومياََ،

فهي لا تعجّ بالسيارات والناس المتوجهين إلى أعمالهم كما كانت عليه حالتها في الأسبوع الماضي،،

ولم تبدُ نظيفة كما كانت دائماً،،

أو ربّما هذا هو ما كان يشعُر به!!

في الحقيقة ليس هناك شيءٌ كما تعود أن يراه من قبل، أو ربما القليل فقط مازال مثل وضعه السابق،،

ها هي محلات الخدمات الصباحية، مثل محلات القهوة والشاي والوجبات السريعة، لا يبدو أنها مفتوحة كلها، والمفتوحة منها ليست على ما يبدو تستقبل الكثير من الزبائن مثل باقي الأيام الإعتيادية، وقد لا تكون بكامل طاقتهم عمالها المعتاد، أو ربما أن معظمها كان أصحابها فقط هم الذين يقومون بالخدمات فيها، أمّا محطات تعبئة الوقود، فقد كان البعض منها يُعلّق لوحة (مُغلق)،،

لم يكن "بوب" يعلم ما هو شكل الحياة في الشارع منذ يومين لأنه لم يخرج من البيت، إذ أنه كما هي عادته في عطلة نهاية الأسبوع كان يقضيها للراحة في البيت، كما أنه كان قد أصيب بوعكة صحية ألزمته الفراش ليومي الخميس والجمعة السابقين لعطلة نهاية الأسبوع، ولذا فإنه لم يشهد الشارع منذ أكثر من أربعة أيام....

لقد تغير المنظر بعض الشيء،، كما يراه هو اليوم، ويبدو له أن الكثير من الناس لم يخرجوا من بيوتهم، منهم من قد يكون متضامناً مع الداعين لهذا الإنتحار الجماعي، وربما منهم من ينتظر وضوح الصورة لهذه الدعوة لكي يبين موقفه منها،، ومنهم من قرّر التوقف لمراجعة النفس ولتكوين موقف من هذه الدعوة،، ومنهم من لا يمكنه أو لا يجروء ولعدة أسباب أن يلبي مثل هذه الدعوة،،

بل في الحقيقة هنالك الكثيرون ممن يستخفون بها،، لأنهم يستمتعون بحياة رخاء مريحة،، ولا إعتراض لديهم عليها وعلى طريقة سيرها،، فهم لا يخطر ببالهم الخروج منها، ولا يعجبهم مجرد ذكر توديعها وهم يعيشونها ويستمتعون بأفضل ما فيها! كل هذه التوقعات والتصورات تضاربت في فكره، وساهمت في

عدم تركيزه على الكثير من الموجودات أمامه ممّا يراه في الشارع،، حتى تصور للحظات أنه لم يكن من الصواب أن يخرج اليوم أيضاً قبل أن تتضح له صورة الحدث خارج منزله في المدينة الكبيرة التي يعيش فيها،، لكنه لم يستطع الإنتظار أكثر،، فهو شخص تعود أن يقتحم الحدث ويتقصى واقع الأمور بنفسه،، ولا ينتظر أن ينقل له الآخرون رؤيتهم لما يحدث، هكذا تعود أن يعيش حياته، فهو يعتبر إهتمامه هذا وصفته هذه من عوامل نجاحه في عمله.

استمرت الكثير من التصوّرات تراود مخيلته،، كثير من تلك الصور كانت عن ماضيه، ماضيه الخاص به،، حياته الشخصية وحياة عائلته،، عن زوجته "نيكولا" وعن أبناءه "جوزيفين" و "جوناثان"،، اللذان إستقلّا بحياتهم الخاصّة عنه، عن أحفاده الثلاثة،، عن الرفاهية المتوفرة له ولعائلته،، بالمقارنة بالوضع الذي يعيشه الآخرون،، ذلك الوضع والفرق الذي يمكن أن يكون سبباً من أسباب رفض هؤلاء الناس لحياتهم هذه ودعوتهم لإنتحار جماعي!

عاد بذاكرته إلى سنوات شبابه عندما بدأ حياته العملية مكافحاً  
لبلوغ وضع إقتصادي وإجتماعي أعلى من مستوى ما كان  
عليه،، فما قد حققه فعلياً،، أكثر بكثير مما كان يحلم به ويتوقعه!  
نعم لقد كان مكافحاً وصبوراً،،

ولكنه يدرك تماماً أن ما قد حققه ووصل إليه من نجاح عملي  
ليس بفعل قدراته الذاتية نفسه فقط،،  
فقد كان الكثير منه من إبداع وبجهود من كانوا يعملون معه في  
البداية،،

وفيما بعد أصبحوا يعملون لديه ويخدمونه،،  
ومنهم الكثير ممن لا يزالون يعملون لديه وفي خدمة أعماله،،  
ولم تتغير حياتهم عما كانت عليه قبل سنين!  
هو يدرك تماماً أن الحياة لا تكافئ كل مجتهد،،  
بل ربما تحطم الكثير منهم، الكثير من المجتهدين والمبدعين!  
ويدرك بالتأكيد أيضاً،، أنه لا بدّ من الكثير مما يدعوه الناس  
(الحظ) أو (الفرصة) المؤاتية وإمكانية إستغلالها،، لكي ينتهي  
الجهد بالنجاح!

من الواضح أن هذه ليست دعوة من قبل مجموعة دينية،،  
هكذا يراها "بوب"،،

كما أنها ليست مبنية على أساس أو دافع ديني كسابقاتها من  
دعاوى الجامعات الدينية التي إنتهت بإنتحار المؤمنين بها

فقط!!

وهي على ما يبدو ليست دعوة لعقيدة أو أيديولوجيا معينة،  
إذ أن ذلك مُستبعد جداً،  
حيث أنه معروف جيداً أن أصحاب أو دعاة الأيديولوجيات، لا  
يمكن أن يفكروا في التخلي عن سعيهم الدائم لكسب ما أمكن من  
الحياة حتى لو طال أمد الحرمان منها،  
ومهما إدّعوا أنهم لا يعيرون أهمية لتحقيقهم النفع لذواتهم،  
فإن ذلك ليس مما يفكرون به ويعملون له فعلياً!

إذاً، مَنْ يمكن أن يكون هؤلاء الداعين لهذه الدعوة التي يُعتقد  
أنها قد تكون أغرب دعوة ربما في تاريخ البشرية؟

هكذا، ظلت تدور في رأسه الكثير من الأفكار والتصورات  
والهواجس وهو ما يزال يقود سيارته ببطية محاولاً التعرف  
على المتغيرات في الشوارع من حوله في طريقه لمكتبه،  
وظلت تدور الأسئلة في فكره:

هل هم الشيوعيون،،

أو من يعتبرون أنفسهم إشتراكيون،،

أو يساريون،،

هل هم هؤلاء من يدعون لهذه الدعوة بصورة خفية؟

ذلك أن هنالك الكثير من الأمور الخفية الغامضة التي تصاحب الدعوات الشيوعية وربما حتى الاشتراكية، وقد تكون هذه واحدة منها؟ أم أنها من تدبير الرأسماليين الكبار القادرين على تدبير أمورهم في الأزمات الصعبة؟ فهم الذين كثيراً ما يخلقون الأزمات لكي تنتعش بعدها أحوالهم المالية أكثر، وأكثر، مثل ما يحدث مع تكرار حالات هبوط أسعار الأسهم ومن ثم ارتفاع أسعارها، ومن دون أن يكون هنالك مبرر حقيقي مقنع للهبوط أو للارتفاع!

كل ذلك وغيره الكثير الذي دار وإستمر يدور في مخيلته حتى أنه كاد يدهس بسيارته كلباً كان يبدو عليه أنه لايعرف السبيل لبيته!

ثرى ماذا حلّ بأصحابه؟

لم يكن قد إعتاد رؤية كلاب تركض سائبة في شوارع هذه المدينة الراقية،

إنه في الحقيقة لم يرَ حيوانات سائبة منذ أكثر من ربع قرن ومنذ أن سكن هذه المدينة التي يسكن الأغنياء معظم أحياءها، في الغالب.

وصل أخيراً للبناية التي يقع فيها مكتبه وتوجّه بسيارته كما  
إعتاد نحو بوابة القبو الذي يقع فيه موقف السيارات، وسرعان  
ما إنتابه هاجس لم يخطر في باله مسبقاً:  
ماذا سيفعل لو أن بوابة القبو لم تستجب للمفتاح عن بعد  
"ريموت"؟

ماذا يمكن أن يحدث؟

لكن هاجسه تبدد بسرعة عندما إستجابت الباب لإشارة المفتاح،  
وإنفتحت كالمعتاد، فإنفرجت أساريه عندما رآها مازالت تعمل  
كالمعتاد، فإعتبر أن مخاوفه زائدة عن الحد ولم يكن لها مبرر!  
ثم دخل بسيارته إلى القبو ليصل إلى المكان المخصص لموقف  
سيارته،،

أطفاً محرّك السيارة وظلّ للحظات ساكناً متأملاً ينظر للأمام  
وهو داخل السيارة، داخل قبو مواقف السيارات، وبدون أن  
يكون هنالك ما ينظر إليه فعلاً،،  
كانت نظرات شخص سارح يحاول أن يركز تفكيره ليعرف  
ماذا بعد الآن؟

ماذا بعد أن يترجل من سيارته؟

لقد لاحظ أن موقف السيارات اليوم ليس ممتلئاً بالسيارات، وهو  
ما لم يعتده في مثل هذا الوقت من اليوم الأول من أيام

الأسبوع،، ترى أين هم أصحاب السيارات الذين كانوا يستخدمون هذا الموقف الكبير المساحة؟

وبالرغم من أنه كان شبه متيقن أن هذا له علاقة بهذه الدعوة الغربية، لكن ذلك ليس له الأهمية الأولى الآن، فعليه أن يتوجه الآن إلى المصعد، وهو متحفز وقلق في نفس الوقت، متحفز لرؤية من سيكون موجوداً من موظفيه في شركته حاضراً كالمعتاد؟ ومن هو غير حاضر؟

وهو قلق في الوقت نفسه فيما لو أن المصعد لن يعمل كالمعتاد!!

فلو لم يعمل المصعد، سيكون عليه أن يصعد السلم للطابق السادس والخمسين حيث يقع مكتبه،، وهذا ما لا يمكن أن يخطر بباله أنه يمكن أن يفعله يوماً!

يا إلهي،، كم من الأشياء التي نعيش معها وهي في خدمتنا على الدوام،،

ونحن لا نفكر فيها،،

ولا كم من الجهد والوقت نحتاجه لكي تبقى مستمرة في خدمتنا؟؟

كم من الناس وراء هذه الأشياء الكثيرة التي أصبحنا نعتبرها من المسلّمات!؟

وصل بخطواته المترددة، على غير ما إعتاد عليه، إلى بوابات المصاعد الستة، وأول ما لاح له هو مصابيح المصاعد التي كانت مضيئة بشكل إعتيادي، وهذا يعني أنها من المفروض أن تعمل كالمعتاد،

أو أن هذا ما كان يرجوه!!

ضغط بإصبعه على زرّ المصعد، فإنفطحت إحدى الأبواب بسرعة، كما لو أن المصعد كان يانتظاره، وأنه لم يستخدمه أحد للمصعود على أقل تقدير منذ دقائق،،

دخل المصعد ثم ضغط على زرّ الرقم (56) فإنغلق الباب ثم بدأ المصعد بصعود الطوابق كلها من دون أن يتوقف،،

وتابع "بوب" صعود المصعد بسرعه المعهودة وأمله كبير أن لا يتوقف فجأة لأي سبب كان!

لم يمرّ وقت طويل قبل أن يبلغ المصعد الطابق السادس والخمسين،،

ثم إنفطحت الباب ليخرج "بوب" إلى الباحة أمام أبواب المصاعد، ثم توجه إلى الممرّ المؤدي إلى مكتب شركته،،

لم يقابل أحداً في الممرّ من موظفي الشركات الأخرى التي تشاركه بمكاتبها في هذا الطابق،،

ولم يرَ أحداً من زوار هذه المكاتب، وقد إعتاد أن يرى الكثيرين منهم في الأيام الماضية،،

فقد كان الممرّ هذه المرّة هادئاً أكثر من المعتاد،،

أو ربما أنه قد تصور الأمر هكذا،  
لم يهتم كثيراً للهدوء السائد في الممرّ الطويل،  
وإنما كان يحثّ خطواته ليصل مكتب شركته، فوصل وفتح باب  
المكتب ودخل ليتوجه مباشرة نحو مكتبه ماراً بمجموعة مكاتب  
الموظفين الصغيرة، المفتوحة الواجهات والتي تفصلها حواجز  
زجاجية، والتفت إلتفاتة سريعة نحو المكاتب،  
ولم يكن هنالك غير موظفين إثنين من مجموع ما يزيد عن  
عشرة موظفين يعملون لديه،  
حيّاهم عن بُعد كما إعتاد، بقوله:

#### • صباح الخير،

وردّ الإثنان التحية... وإنتبه إلى أن سيكريتيرته التي إعتاد أن  
تكون بإنتظاره لم تكن موجودة بإنتظاره هذا الصباح!!  
إزداد قلقه،  
ولكنه لم يُبدِ شيئاً عندما ألقى تحية الصباح على الموظفين  
الإثنين الجالسين،  
إنتبه أيضاً إلى أنه لم يلحظ عاملات التنظيف اللواتي كان لابد  
وأن يرى واحدة أو أكثر منهن في بداية ساعات الدوام  
الصباحية، وهذا الصباح لا يرى واحدة منهن،  
فهل يمكن أن تكون هذه مصادفة أخرى!؟

دخل غرفة مكتبه وسارع بخلع ستريته ورمها على أحد الكراسي العديدة في المكتب، وتوجّه ليجلس على كرسي مكتبه.

جلس محاولاً الإسترخاء مسنداً يديه على مكتبه، يشبك أصابع يديه ببعضها، وينظر بإتجاه باب المكتب التي دخل منها، وفكره سارح بعيداً عن موقعه في المكتب،،  
لم يستطع تركيز تفكيره على شيء معين،،  
لم يشعر برغبة في أن يفتح كومبيوتر مكتبه ولا التلفزيون،،  
كان يحاول أن يركن إلى هواجسه التي لم يشعر من قبل بمثل لها،،

إنها مشكلة كبيرة على ما يبدو،،  
أو هي كذلك حسب ما يعتقد هو،،  
ولكنه في الحقيقة لم يكن بعدُ يتصور أو يعلم مدى خطورة وتأثير هذه المشكلة على المجتمع،،  
عليه وعلى شركته ومستقبل عائلته!

وإلى أي مدى يمكن أن تكون حقيقية، أو يمكنها أن تدوم؟؟  
وهل هذه الدعوة محلية أم تشمل البلد بأكمله،،  
أم أنها ربما تكون دولية فعلاً كما تقول الأخبار؟

إستدار بكرسي مكتبه الدوار إلى الخلف لينظر من الشباك الواسع والمُطلّ على أفق بعيد، تحجب النظر في معظم مدياته

العديد من العمارات الشاهقة الإرتفاع التي تبدو له رغم عظمتها  
وهيبتها وكأنها لا حياة ولا حركة فيها،،  
والحقيقة أن المنظر كله لم يكن فيه ما هو جديد،،  
واليوم كذلك لا يبدو فيه أي حركة من غير المعتاد أو بالأحرى  
حركة من أي نوع!  
ربما لأنه ليس من السهل تبين الأشياء من هذا الإرتفاع الشاهق  
فهو لا يستطيع رؤية تفاصيل أجسام الناس،،  
وربما لأنه لم يكن ينتبه للتفاصيل من قبل اليوم،،  
أو لم تكن تعنيه عندما كان ينظر سابقاً من نفس موقعه هذا!!

كيف يمكن للإنسان أن يتخذ قراراً بالتضحية والتخلي عن حياته  
وإنهاءها بنفسه وبارادته؟  
إنه حقاً شيئ صعب التصور!  
لكن،، أليس هذا هو الإنتحار؟  
أليس هذا هو نفسه ما نسمع عنه منذ الأزل،،؟  
ونعرف أنه ربما كان عملاً مقدساً لدى بعض الشعوب والأقوام  
عندما كان يختاره بعض الأشخاص المنهزمين والمحبطين،  
وكانوا ينفذونه بأنفسهم بلا تردد في بعض الأحداث والمواقف،  
وكانوا يعتبرونه في الكثير من الأحيان نوعاً من ردّ الإعتبار  
للشرف والكرامة!  
ولكن،، ما هذا الذي حصل الآن لكي تظهر مثل هذه الدعوة في

هذا العصر؟

وفي عالمنا هذا الذي أصبح بعيداً عن الكثير من إعتبارات الشرف والكرامة التي كان الناس في القرون السابقة يعطونها أهمية قصوى وإستثنائية،، بل لقد أصبح عالمنا متناقضاً معها،، فلم تُعدّ مقاييس الشرف ولا الكرامة لها نفس القيمة والوزن مثلما كانت في قرون خلت! وقد يمكن القول أنها لا تقابل اليوم بغير السخرية والإستهزاء والإستخفاف من قبل معظم الناس!

فجأة،، وفي هذه اللحظة تُطرقُ الباب وتفتحها بدون إنتظار، سيدة في متوسط العمر،، تبدو على هيأتها وملبسها الجدية والإرتباك في نفس الوقت، وسارعت بالإعتذار من "بوب" عن التأخر! إنها مديرة مكتبه وسيكريتيرته الشخصية "كريستين"،، فما كان منه إلا أن وقف من جلسته بلهفة وكأنه كان ينتظرها بشوق كبير!!! وسارع لطمأنتها بأن لا تهتم لتأخرها، وبدا عليه إرتياح واضح لمجيئها، وبادر بأن طلب منها الجلوس،، ثم إستدار من وراء المكتب ليقترّب منها متسائلاً ومنتظراً بشغف سماع الجواب، أي جواب تجيبه عن سؤاله:

## • ماذا يحدث؟؟

كان كأنه يحمل هذا السؤال منذ وقت وينتظر اللحظة المناسبة لكي يسأله بهذه السرعة والبساطة والتجريد! كما أنه بدا عليه أنه يريد أن يسمع جواباً، أي جواب منها،

إلا أنها عاودت الاعتذار مرة أخرى عن تأخرها، وأصرّت أن تذكر سبب تأخرها بالتفصيل قائلة بأنها قد اضطرت لأخذ ابنتها وإينها إلى المدرسة بنفسها لأن سيارة المدرسة لم تأت كالمعتاد، وأنها عندما ذهبت بهم إلى المدرسة لم تجد إلا القليل من أهالي الأطفال الذين وقفوا منتظرين مع أبناءهم لكي يعرفوا ما هو الموقف،، وهل أن المدرسة ستفتح كالعادة وهل سيأتي المعلمون أم لا؟ ولكن يبدو أن الأمر لم يكن مضموناً حسب رأيها ولذا فقد فضّلت عدم الإنتظار كثيراً و قررت أن تأخذ طفليها إلى دار أمها التي تعيش في الطرف الآخر من المدينة الكبيرة، وكان هذا بإختصار سبب تأخرها،،

ولكن من الواضح أنّ الإرتباك الذي بدا عليها لم يكن بسبب هذا التأخير فقط،، بل كان على ما يبدو أكثر من ذلك بكثير، فقد كان ذلك واضحاً على كلامها وإرتباكها وترددها في سرد الأحداث مما يبدو عليها أنها تتكلم عن أمر فيه خوف،، وفي ذهنها أمور

أخرى أكثر أهمية وخطورة،  
سألها "بوب" لماذا هي مضطربة ومرتبكة هكذا، فأكدت له أن  
لا شيء مهم وأنه ليست هنالك مشكلة، لكنه أصرّ أن الإرتباك  
واضح عليها وهو الذي لم يعتد رؤيتها يهيمن عليها الإرتباك  
بهذا الشكل، ولذا فقد أصرّ على أن يدفعها لكي تركز في  
إنتباهها وكلامها عن ما يستفسر هو عنه،، وفحوى ما يهمله وما  
يسأل عنه هو فأعاد عليها السؤال مرة أخرى:

• ما هذا الذي يحدث في الخارج؟

ويعني به ما يخص هذه الدعوة للإنتحار الجماعي، ومن يمكن  
أن يكونوا الداعون لها؟  
ومن هم المقتنعون بها والذين يتوقع أن يقوموا فعلاً بتنفيذها؟؟  
وهل هنالك فعلاً من لديه الإستعداد لتنفيذها؟؟

لقد كان من المهم لديه أن يعرف منها ماذا تعرف هي عن هذه  
الدعوة للإنتحار؟ ذلك لأنه يعتبرها الحلقة الأولى في حياته  
اليومية التي تربطه بالطبقة المتوسطة، وربما الفقيرة أيضاً،  
فهي شخصية جادة وعملية، وتعمل بجدّ مديرة لمكتبه منذ ما  
يقرب من ثماني سنوات، ويعلم أنها لديها العديد من الطموحات  
المرتبطة بها وبزوجها وبحياتهم كعائلة مع طفليهما، وهي  
تعيش حياتها مع بعض المعاناة والمنغصات التي غالباً ما تحدث

لأسباب إقتصادية تتعلق بضعف قدرتهم المادية كعائلة،  
ومحدودية مواردهم المعاشية....  
كان هنالك العديد من الأسئلة الأخرى التي تدور في رأسه والتي  
ينتظر جواباً لها منها،،  
أو محاولة للإجابة مهما كانت بسيطة، ذلك لأنه كما قال لها:

- إنك تعلمين أنني لا أهتم ولا أصدق ما تذكره الصحف  
ولا وسائل الإعلام الأخرى، ولذلك فأنا لا أتذكر تفاصيل  
كثيرة عن ماذا كان أساس هذه الدعوة وكم كانت فيها من  
الجديّة؟  
تعلمين أن الأسبوع لا ينتهي من دون أن نمرّ على العديد  
من العناوين المثيرة في الصحف والتلفزيون والإنترنت  
وتصريحات السياسيين وأخبار الشركات وأسواق  
الأسهم،،  
وتعلمين أنني لا أعيرها أهمية ولا أصدق أن حتى واحداً  
بالمئة منها سيحدث قبل أن يحدث فعلاً!  
فلو أنني أصدق كل ما يقال، لم أكن لأستطيع أن أبني  
هذه المؤسسة،، الصغيرة،،  
قالها وهو يشير إلى مكتبه والمكاتب الأخرى، ويعني بها  
مؤسسته،،

ردّت هي قائلة:

• نعم، نعم أعلم ذلك،،

ولكنها سرعان ما عادت إلى حالة التلعثم والذهول الذي ينتابها منذ وصولها، ولم تستطع أن تستمر في الحديث،،

أمسك هو بها محاولاً أن يجعلها تجدد إنتباهها، وكانت أول مرة يمسكها بيديه، لكن الموقف قد فرض عليه ذلك عندما شعر بأنها توشك على الإنهيار،،

وهي بدورها لم تهتم ولم تستغرب لإمساكه بها،،

ولكنها سارعت بالطلب منه بأن يسمح لها بالجلوس لكي تستطيع أن تستجمع قواها،،

فأخذها بيده إلى أحد الكراسي لكي تجلس،،

وسألها إن كانت ترغب بأن تشرب شيئاً،،

كان يبدو واثقاً أن حالتها الغريبة ليست إلاّ إنعكاساً لهذه الدعوة للإنتحار،،

ولذا فقد أصرّ على متابعتها والإهتمام بها،،

أما هي فقد خجلت لأول وهلة أن تطلب من ربّ عملها ذلك،

لكنها من الواضح أنها كانت تعاني من أمر شديد التأثير على

وضعها العام مما جعلها تتجاوز المعتاد وتطلب قدحاً من الماء،،

فسارع هو إلى ثلاجة مكتبه جالباً لها قنينة ماء صغيرة وفتحها

وقدمها لها، شكرته وأخذتها منه وسارعت لترشف منها رشفة

سريعة ومرتبكة،  
وما أن إنتهت حتى ذهبت بنظرها بإتجاه الشباك الواسع وهي  
ممسكة بقئينة الماء، وتمتت بكلمات غير واضحة قائلة:

• لا أستطيع تصديق ذلك.....!!

إنته لها متفاجئاً مما قالتة.....  
وردّ على ما قالتة بسؤالها العائم وغير الموجه لشخص معين،،،  
بلهفة:

• ما هذا الذي لا تستطيعين تصديقه؟؟

فعادت مرة أخرى لتكمل كلامها:

• ..... لا أستطيع تصديق أنه يعني ما يقوله وأنه يمكنه أن  
يفعل ذلك!!

قالت ذلك وهي ما زالت شاردة بنظرها إلى البعيد، ووجهها  
يزداد شحوباً وعيناها متسمرتان في هدف،،  
بل لا هدف،، بعيد.....

فأعاد "بوب" سؤاله عليها مرة أخرى:

• ما هذا الذي لا تستطيعين تصديقه؟ وعن من تتكلمين؟

• ..... "جون"،،،،، "جون" زوجي،،

ردّت بتمتمة وهي تلتفت نحوه لتتظر إليه،،

بدون أن تركز نظرها في شيء،  
وتوشك أن تنفجر بالبكاء،  
ثم عادت مرة أخرى تنتظر للبعيد،  
لتبدو كالمأخوذة المرعوبة من شيء ما!

• ماذا يريد "جون" أن يفعل؟ ،،  
سألها مستغرباً،، فأجابته:

• ..... إنه يريد أن يذهب مع أولئك الناس،،  
• أيّ أناس؟

ردّ عليها متسائلاً وبحدة هذه المرّة، وكأنه قد أمسك بالخيط  
المهم لما عندها من معلومة،  
ثم أعاد الإمساك بها وهزّها وهي تجلس على الكرسي لكي تنتبه  
وتركز تفكيرها وهي تتكلم،،  
بينما هو ما يزال واقفاً متحفزاً ينتظر إجابات على تساؤلاته،  
كان ينتظر منها أن تتحدث بوضوح وبالطريقة التي تفي  
بالغرض بالنسبة له وتختصر الوقت،،

فقد كان هو هكذا دائماً، رجل عملي يؤمن بأن الوقت لا يجب أن  
يضيع مع تمتمة وكلام غير واضح عن موضوع فيه هذا  
الغموض الذي يريد أن يعرف أقصى ما يمكنه عنه، فعادت  
هي إلى إنتباهها بعض الشيء لكي تكمل وبنبرة مرارة:

- إنه ،، أعني "جون" يعتقد أنه عليه أن يؤيد هذه (الدعوة) وأن لا فائدة من الحياة في هذا العالم،!! هل تستطيع أن تصدق هذا؟

أصيب بصدمة لسماع ذلك فردّ عليها بعد أن تسمّر في مكانه:

- أصدق ماذا؟؟ وأي دعوة يريد "جون" تلبيتها؟ أيّ حياة لا فائدة منها هذه التي تتكلمين عنها؟؟ أخبريني ما هذا الذي تقولينه؟ هل تقصدين أولئك الناس الذين تتحدث عنهم الأخبار،، وعن عدم رغبتهم بالإستمرار بالحياة،، مثل أولئك السخفاء فاقدى العقول من المجانين الذين ينتحرون أو يقتلوا أنفسهم مع أناس أبرياء آخرين،، ويتصورون أنهم سيذهبون إلى عالم آخر أفضل! عالم لا وجود له إلاّ في عقولهم المريضة وتصوراتهم وأوهامهم،،!!

إستمر "بوب" في سرد كلامه بحماسة وكأنه يحتاج أو يجادل أحد أولئك الناس الذين ينتحرون لأسباب عقائدية،، بينما عادت "كريستين" إلى شرودها والنظر إلى البعيد من خلال شباك المكتب الكبير،،

أمّا هو فقد أكمل كلامه عما يتصوره عن هؤلاء الناس،، محاولاً طمأننتها بأن ذلك مجرد تصورات وخيال لا يمكن أن يتحول إلى واقع،،

ولا يعلم كيف ولماذا هي تصدق به، ولكنه إنتبه فجأة إلى أنه لم يسمع منها بقدر ما تكلم هو نفسه عما يعتقد عن هؤلاء الناس وعن دعوتهم،،

وإنتبه إلى أنها عادت إلى شرودها، مما يبدو عليها أنها لم تسمع تعليقه على الموضوع الذي سألها عنه، عندما قاطعها ولم يعطها فعلاً الفرصة لكي تكمل وتستمر في كلامها،

فعاد إليها لكي يعيد إنتباهها إليه، وتذكّر أنه لا يعرف الكثير عن زوجها "جون"، لأنه لم يكلف نفسه أن يسألها عنه يوماً لكي يعرف أي نوع من الأشخاص زوج مديرة مكتبه المفضلة، فهو لم يلتق به إلا بشكل عابر لمناسبة أو مناسبتين عندما كانت المؤسسة تقيم فيها حفلات بسيطة لموظفيها لمناسبة صفقات أو إنجازات تجارية،،

فقد يكون "جون" شخصاً متديناً يؤمن بمثل هذه الخرافات؟  
أو ربما أنه شخص يعاني من مرض أو اضطراب نفسي ما؟؟  
وهذا ما يصاب به الكثير من الناس في هذه السنوات؟؟  
كما أنه قد تكون "كريستين" نفسها مبالغة في التصور،،  
ومبالغة في رد فعلها،،

وهذا وارد، وربما هو نتيجة لأي مشكلة بينها وبين زوجها!؟

قد يكون بعض أو كل هذا صحيحاً، ولكنه عاد ليراجع مع نفسه هذه المرّة ما عرفه وسمعه عن هذا الأمر نتيجة لما شاهده بالأمس من أخبار بثتها قنوات التلفزيون عن هؤلاء الناس الذين يدعون إلى هذه الدعوة الجماعية للإنتحار، وكيف أن البعض من القنوات التلفزيونية قد نُبّهت مشاهديها بأنهم ربما سيكونون غير قادرين على تغطية ساعات البث المعتادة نتيجة لأن الكثير من الموظفين الصغار والعمال الفنيين قد أعلنوا أنهم ينوون المشاركة بهذه "الدعوة"،

بصفة مراقبين أو ربما (منتحرين)!!

أو متابعتها عن قرب بالإلتقاء بالناس المشاركين فعلياً بها!! والبعض من هؤلاء أعلنوا أنهم قد قرّروا المشاركة ليس فقط كمشاهدين،

وإنما فعلاً كمنتحرين!! وتذكر أنه قد سمع من أحد التقارير الصحفية أن هذه الدعوة الجريئة مفتوحة لمن لديه الإستعداد لتبليتها وتنفيذها، وسيترك لكل شخص إختيار الوقت والأسلوب في تنفيذها، وهذا هو ما جعله هو وزوجته "نيكولا" أن يتأخرا في الذهاب للنوم ليلة البارحة،

بل في الحقيقة إنهما بالكاد قد إستطاعا النوم من هَوْل التصورات لأمر يبدو أنه غاية في الجديّة والسعة والإنتشار، يا إلهي،، كيف غاب عن باله ذلك؟

وعادت لتتمرّ أمام عينيه أيضاً كيف أنه عندما إستيقظ صباحاً ونهض من سريره بصعوبة حيث لم يأخذ قسطه الكافي من النوم، وكيف أنه وجد "نيكولا" قد سبقته بالإستيقاظ ووجدتها عند هبوطه إلى الطابق الأرضي واقفة مُسندة ظهرها إلى خزانة المطبخ مطرقة بالتفكير وهي تمسك بيدها قح القهوة، عندما ألقى عليها تحية الصباح وسألها إن كانت قد نامت نوماً كافياً،، ولم تُجبه على سؤاله،، بل ردّت عليه بالسؤال:

- هل يمكن أن يحدث مثل هذا؟؟  
هل يمكن أن نشهد (أو كلاهما) أخرى، أو (11 سبتمبر) جديدة وبارادتنا هذه المرة؟  
وأن يكون هذه المرة بإعلان عما سيحدث عن طريق التلفزيون والصحف؟  
إلى أين نحن سائرون؟

وردّ هو عليها:

- يبدو أننا سنرى شيئاً جديداً هذه المرة،،  
لقد كانت السنوات الماضية حافلة،،، بأشياء كثيرة،،  
وما زالت تحمل إلينا ما لا نستطيع تصوره،،  
ولكن مع ذلك لا بد لنا الآن أن نأمل أن لا يكون هذا غير مجرد كابوس،،،!!

نعم إن الأمر جدّي فعلاً، وهو يدرك ذلك ومقتنع به، فكيف يعود ليحاول الظهور أمام سيكريتيرته "كريستين" بأنه كما هو الحال مع الأمور التي تخص الشركة، وبطريقة أنه يعلم أكثر مما تعلم هي؟

إنه يعلم أن الأمر جدّي هذه المرّة، وهو نفسه يعتقد بأن الأمر سيحمل الكثير مما لا يمكن تصوره الآن،

وربما أن "كريستين" تعلم عن الأمر أكثر مما يعلم هو عنه، بل ربما لديها من المعلومات من خلال زوجها ما يحتاج هو لمعرفته الآن،

وهنا عاد إليها وسحب كرسيّاً ليقترّب منها في جلسته ولكي يحاول تهدئتها لمعرفة ماذا تعرف عن الأمر ومن خلال زوجها بشكل خاص،

فزوجها ليس مستمع لهذه الدعوة مثل معظم الآخرين، إنها تقول أنه مؤيّد لهذه (الدعوة)،

وهذا يعني لا بد أنه يعرف الكثير عنها!

أمسك بها برفق هذه المرة، بعد أن جلس على كرسيه الذي سحبه ليجلس قريباً منها، وبعد أن حاول أن يستعيد هدوءه أيضاً، فأعاد عليها سؤاله قائلاً مع عدم تمكنه من إخفاء تحفزه وشغفه لسماع الجواب:

● ماذا يقول "جون"؟؟  
هل قلت أنه يريد.... أو تعتقدين أنه يفكر بتلبية الدعوة،  
أعني دعوة أولئك؟  
وأشار بيده لا شعورياً إلى الخارج باتجاه باب مكتبه،، فتحفرت  
هي فجأة لإشارته وتنبهت وإلتفتت برأسها نحو باب المكتب  
وكانه قد أرعبها شيء ما،  
وهمست بصوت خافت خائف متسائلة:

● من تعني بأولئك؟  
هل لدينا منهم أحد هنا في الشركة؟؟  
أجابها بسرعة:

● لا، لا، لا لم أقصد شخصاً معيناً هنا، لأنني لا أعرف  
أحداً منهم،  
ولكن على أي حال قد يكون لدينا أحدهم أو ربما أكثر  
من واحد،  
فأنا لا أعلم الآن،،  
ألم تلاحظي أن كثيراً من موظفينا لم يحضروا اليوم كما  
هو المعتاد؟  
أجابت بسرعة:

● كلا لم أنتبه لأنني عندما دخلت كان فكري منصباً على  
المجيء لمكتبك لأخبرك عن سبب تأخري في المجيء،،

ولم أنتبه إلى من يمكن أن يكون موجوداً أو غير موجود، أعني من موظفينا....

وتوقفت للحظة، وقبل أن يقاطعها عادت وأكملت:

- قد تكون لكل منهم أسبابه كما كانت لدي أسبابي في التأخر، وسأخرج لأرى من جاء منهم الآن،

فأمسك بها ليبقيها جالسة في مكانها قائلاً:

- لا، لا يهم ذلك الآن، أتركي الأمر لما بعد،،، فقطاعته قائلة:

- لن يستغرق الأمر غير دقيقة وسأرى إن كان أحدهم ممن لم يحضروا قد ترك رسالة على جهاز الرسائل التلفونية،

قاطعها هو مرة أخرى قائلاً:

- لا، لا، أتركي الأمر الآن ولنعد إلى ما تقولينه عن "جون"،

ثم سكت وهو يركز نظره بعينيها،

وكأنما كان متيقناً بأنه قد تعرّف لأول مرة على أول شخص ممن يؤمنون بدعوة هؤلاء للإنتحار،، فأكمل متسائلاً:

- هل تعتقدين فعلاً أن "جون" يعني ما يقوله؟

سارعت لتقاطعها وهي مازالت لم تتخلص بعد من حالة الشرود

وعدم السيطرة على حركاتها التي تتضح عليها بصورة هستيريا ورعشة في كلماتها:

● يعني ماذا؟؟

● أعني،، هل تقصدين أنه كان يعني ما يقوله عن قناعته

بدعوة أولئك (وتجنب هذه المرة أن يشير إلى الباب)،

أولئك الذين يريدون أن ينهوا حياتهم،؟؟

فردت هي بسرعة وثقة:

● نعم،، نعم، أعتقد أنه يعني ما قاله لي،،

ثم أردفت مكلمة كلامها،،

● أنا أعرف "جون" إنه يعني ما قاله لي،،

وأنا أعرف أنه لديه أسبابه.....!!

قاطعها "بوب" متسائلاً بإستنكار:

● أسبابه؟؟

ماذا تعنين بأنه لديه أسبابه؟

ماذا يمكن أن تكون الأسباب لكي تجعله يفضل الموت

على الحياة؟

أعني الإنتحار،، ومن ثم ترككم أنت وطفليكما،، طفليكما

الجميلين، فأنا قد رأيت صورهما الجميلة على مكتبك!!

وهنا أجهشت "كريستين" بالبكاء فجأة، وبصورة غير متوقعة،

ولم يعرف "بوب" كيف يتصرف لتهديتها لكي تعود لحالتها

وتواصل الحديث معه وليس البكاء وهما يتحدثان في صلب هذا الموضوع، الذي يحاول أن يعرف عنه أكثر ما يمكنه. حاول تهدئتها بأي شكل، وكان واضحاً أن بكاءها إنما هو لسبب عميق ومؤثر فعلاً في نفسها، وبعد ثوانٍ تمت قائلة وهي ترمقه بنظرة لم يستطع تفسيرها:

- ما ذنبهم،،، ما ذنبهم،،،؟؟  
إنهم أطفال لا ذنب لهم،  
إنهم لم يعوا ولم يعرفوا بعد من الدنيا خيراً ولا شراً،  
هل يمكن أن يكون هذا عدلاً؟

ردّ عليها هو بدوره متسائلاً:

- أي أطفال تتكلمين عنهم،،؟،، هل تعنين،،  
حاول أن يتذكر إسمي طفليها،، جاهدأ نفسه واضطر بعد تأخر  
لثوانٍ لذكر أسمين أقرب ما يكونا لإسميهما مما يمكن أن يخطرا  
على باله،، فأعاد سؤاله مرة ثانية قائلاً:  
● هل تعنين "سارة" و "داني"،،؟

أجابته بسرعة مُصححة الإسمين:

- "سوزان" و "تومي"،، طفلاي الوحيدان،،

وهي تعلم أنه لم يعرف إسميهما بدقة من قبل،، فردّ عليها:

- نعم، نعم إن فكري مشوّش، أدرك ذلك،،  
والآن هل يمكنك أن تخبريني ماذا بشأنهما،،  
وما هي علاقتهما بحديثنا،،  
وبما يحدث من الفوضى والأمر الغريب من حولنا؟

أنهى كلامه وابتظر جوابها لكنها مازالت سارحة شاردة مرّة،،  
وأخرى تسند رأسها بيديها محدّقة بالأرض وكأنها قد تلقت للتو  
خبراً مزعجاً، أعاد عليها السؤال نفسه مع تكراره إسمها مرتين  
"كريستين"،، "كريستين" لكي تنتبه إليه، وبالفعل إنتبهت له  
والتفتت إليه لكي تركز نظرها في وجهه وتصمت وهي تستمر  
في النظر في وجهه مركّزة هذه المرّة حتى تنبّه هو لذلك ولم  
يعرف سبب نظرتها له بهذا الشكل،،  
ولم يعرف ما يقول لها لكنه هدأ في داخله لتركيزها النظر إليه  
أملاً في الجواب وظلّ ينتظر جواباً لسؤاله،،  
إستغرقت قليلاً في صمتها وشرودها قبل أن تعود إليه لتقول له  
ما قد صعقه:

- "جون" يعتقد أنه من الأفضل لي وللأطفال أن نلبي  
الدعوة معه،، ننتحر مثله!!  
وعادت عيناها تذرف الدموع مرة أخرى، وحاولت مقاومة

إنهيارها أمامه،،  
ولكنها لم تقدر،،  
كما أنه هو نفسه لم يعبأ بذلك هذه المرة!!  
فقد إنتابه الذهول وغمره لدرجة أنه لم يستطع أن يردّ على ما قد  
سمعه منها،،  
لقد ظلّ واجماً لثوان لا يعرف عن ماذا يسأل أولاً،،  
هل يسألها إن كانت جادّة في كلامها أم أنها تهذي؟  
أم يسألها إن كانت ستستمع فعلاً لما يقوله "جون" زوجها لها،،  
أم أنها لن تعبأ لما يقوله لها؟  
وهو يعرف أنه قبل ذلك عليه أن يعلم إن كانت هي نفسها مقتنعة  
بما يقوله أو يؤمن به "جون"،،، أم لا؟  
ومن المؤكد قبل كل ذلك، فإن ما إستنتجه أيضاً من ذلك كله هو  
أن الأساس في الأمر، أن "جون" يؤمن فعلاً بتلك الدعوة  
الغريبة الجريئة لإنهاء الحياة!!  
وإلا لما دعاها لتشاركه ما ينوي عمله ومعهما طفلاهما  
الصغيران،،  
كلّ هذه الأسئلة مرّت بسرعة البرق في فكره كما تتوالى الأفكار  
على مخيلة الإنسان في اللحظات العصبية،،  
كما هو الحال عندما يواجه الإنسان الموت،،  
أو اللحظات التي تسبق شعوره وتصوره أنه سيواجه الموت،،  
ذلك الشعور الذي إنتابه أكثر من مرة في حياته،،

والذي يتذكره تماماً مرة عندما كان على وشك الغرق،  
ومرة أخرى عندما تعرض لحادث سير مروع إنقلبت فيه  
السيارة التي كان يقودها!!  
مرّ به ما يشبه ذلك كله، لدرجة أنه لم يتمالك نفسه من  
الإستسلام للشرود والذهاب بعيداً في تفكيره لثوان طويلة حتى  
قطعت "كريستين" هذه المرة عليه شروده بسؤالها الذي طرق  
مسامعه كأنه صدى يأتيه من بعيد،

● هل تعتقد أنه محق في..... في ما يفكر به؟؟

هذه المرّة كانت هي التي تسأل وهو الذي يذهب بعيداً في  
شروده وتفكيره،

كان سؤالها قد ذهب به بعيداً،

وكأنه سؤال موجّه للآلاف من الناجحين ممّن مالت لهم الحياة  
وإبتسمت، وإستجابت الدنيا لهم ولرغباتهم، وفتحت لهم أبوابها،  
ووفّرت لهم معظم ما يحلم به عموم الناس إن لم يكن كل ما  
يحلّمون به،

كان سؤالاً يطرق أبوابهم طرّقاً عنيفاً ويلح في طلب الجواب!!  
ثم التفت إليها بعد برهة ليردّ على سؤالها بسؤال:

● من تعنين؟؟

وماذا تقصدين بأنه محق؟؟ محق بأي شيء؟؟

لا تقولي لي أنك تسألين إن كان "جون" محقاً بتفكيره  
بإنهاء حياته،،؟  
فلا بد أنك تدركين أن شخصاً مثلي لا يمكن أن يؤيد فكرة  
الانتحار السخيفة هذه،،  
ولا يمكن أن يُقرّ أو يُبرّر لأي شخص التفكير بالانتحار،  
مهما كانت الظروف والدوافع!!

أجابته متسائلة:

- حتى لو كان البديل حياة عبودية أبدية للآخرين؟!  
فأجابها بسرعة وبشدة:  
• نعم،، نعم،، نعم!!

ولكنه سرعان ما إنتبه لما قالته وإلتفت نحوها منتبهاً للجملة  
الإستفهامية التي قالتها:  
"حتى لو كان البديل حياة عبودية أبدية للآخرين؟"،

فعاد ليسألها بحدة وتساؤل جادّ:

- حياة عبودية أبدية للآخرين؟؟ ماذا تعنين بذلك؟  
وتابع بتلعثم واضح قائلاً:  
أعتقد أننا الآن نتكلم عن موضوع جادّ حقاً وعلينا أن  
نتحدث بهدوء ووضوح،،

وأعتقد أن ذلك مهم لكي نعرف بعضنا أكثر، ونعرف  
عن ماذا نتحدث،  
فأنا لا أخفي عليك أن الحديث الذي يدور الآن بيننا قد  
شوّش تفكيري،  
حاولت مقاطعته بالإعتذار، لكنه أوقفها هذه المرة بقوة قائلاً:

● لا، لا داعي للإعتذار،  
فالإعتذار غير مهم هنا، كما أنه لا يغير من الأمر شيئاً،  
ثم إنك لم تخطئي بحقي فلماذا تعتذرين؟!

عاودت هي الإعتذار مرة أخرى مجاملة، وبشكل أكثر وديّة هذه  
المرة، بينما إستمر هو في كلامه قائلاً:

● أعتقد أننا نحتاج إلى مراجعة أنفسنا بين فترة وأخرى،  
في الكثير من الأمور خصوصاً تلك التي نعتبرها من  
المسلّمات،  
أعتقد ذلك قطعاً،  
والآن أعتقد أنه من الأفضل أن أقول أنني أو من بذلك،  
لقد كنا نعتقد أن من المسلّمات أن الآباء يحرصون على  
حياة أبنائهم مثلاً،،  
واليوم أسمع عن والد يحاول إقناع زوجته لكي ترافقه

هي وطفليهما إلى المجهول،،  
وأبي مجهول،،  
إنه مجهول لا يمكن بلوغه إلا بالتضحية والإستعداد  
لترك ومفارقة الحياة،،  
وهذا قرار لا يمكن بعد تنفيذه العودة عنه والتخلص منه  
ومن نتائجه،،  
ألم نكن نعتقد بأن الحياة أياً كان شكلها وأياً كانت  
المصاعب التي نواجهها فيها هي أكثر ما يسعى الإنسان  
للتمسك به؟  
واليوم نرى أنفسنا مخطئين هنا أيضاً، إذ ها نحن نتوقع  
أن هنالك الكثير من الناس ممن لديهم الإستعداد للتخلي  
عن حياتهم،،  
فكم من الأمور تبنيها اعتماداً على أو هام كنا نعتقد أو  
مازلنا نعتقد بها؟  
ألم يقتل العديد من الآباء والأمهات أبناءهم لأسباب  
واهية، وربما كان البعض منها لدواعي خلل وإضطراب  
نفسية، أو مرض أو كآبة أو غيرها،،  
لقد حدث هذا الأمر أكثر من مرة في بلدنا،،  
ولا أعتقد أننا قد فعلنا ما يكفي لإيقاف مثل تلك  
الأحداث،،  
إنه من الواضح أننا في طريقنا لإكتشاف الكثير من

الأمر التي كنا نتعامل معها يومياً من دون أن نعرف حقيقتها،

أعتقد لأبد أننا في يوم قريب سنكتشف كم أننا كنا نُصِرّ في الكثير من الأمور على عدم الاعتراف بجهلنا فيها وعلى عدم التخلي عن هذا الجهل الذي نرسم حياتنا وفقاً لخطوطه!!

هنا، وبعد أن كان يتحدث كما لو كان يهذي هذياناً مع نفسه، إنتبه وتوقف عن التحدث، وإلتفت إليها محاولاً تلطيف الجو بقوله:

● على كل حال،، أعتقد أننا بحاجة لأخذ فرصة للراحة والاسترخاء الآن، فقد مرّ علينا الوقت سريعاً وحانت فترة الغداء،، فما رأيك بأن نتسلل إلى الخارج كي نتناول الغداء، في المطعم المعتاد ولنعتبر اليوم يوم راحة من العمل،، أعتقد أننا أنجزنا الكثير من الأعمال في الأسابيع الماضية،،

واليوم ربما أننا اكتشفنا الكثير من الأمور مما لم نكن نعرفه سابقاً،، أو هكذا يبدو،، وقد تُساعدنا فرصة الراحة هذه أن نجد حلاً للمشكلة التي يمر بها "جون" ونستطيع أن نخرجه مما هو فيه من تفكير،،

قال ذلك وكانت هي منصتة له ولم يكن لديها تعليق على ما قال وكان القلق ما يزال بادياً عليها، غير أنها لم تتردد في أن تبدي إبتسامتها الباهتة عند سماعها أنه مهتم لما يمرّ به "جون" زوجها من حالة وتفكير،،

فهي لا تستطيع إلا أن تأمل في أن يكون لديه حلّ لهذه المشكلة،، فهو شخص قد يستطيع فعل الكثير بقدراته الشخصية والمادية مما لا يستطيع هي أو أي شخص آخر في عائلتها فعله!!

كما أنها في داخلها شعرت بالإرتياح لفكرته ودعوته لها لتناول الغداء في مطعمه المفضل،

وهي تعلم أي مطعم يقصده،، إنه واحد من أفخر المطاعم التي يرتادها رجال الأعمال خصوصاً في أوقات الظهيرة للالتقاء ببعضهم للراحة،، وربما لمناقشة أمور أعمالهم وصفقاتهم التجارية،،

وهي تعرف جيداً أنه لن تكون لها فرصة أخرى لإرتياد مثل هذا المطعم أو مماثله وبمستواه في وقت آخر، ولن ترغب حتى في التفكير في ذلك، حيث أنها لن تستطيع بسهولة تحمل دفع فاتورة غداء في مثل هذا المطعم، والتي يمكن أن تتجاوز بسهولة قيمة ما تكسبه في ثلاثة أو أربعة أيام عمل في موقعها كمديرة لمكتبه،، وبينما هي ما تزال في شرودها الفكري تنبعت له وهو يطلب منها أن تنهياً لكي يخرجها للغداء، فأجابت:

● أعتقد أنني يمكنني أن أمر على مكثبي بسرعة لتدقيق ما قد حدث فأنا لم أدخل المكثب منذ ثلاثة أيام،  
أجابها:

● نعم،، خذي وقتك ولكن لا تدعي أمراً يؤخرنا، أي أمر له علاقة بالعمل،،، فأنا أشعر اليوم بالسأم من كل ما له علاقة بالعمل!!

إستمعت لكلماته بإصغاء وإستغراب وذهول إذ أنه لم يتكلم يوماً عن العمل بهذه الطريقة،، وكان يُصرّح دوماً بأن العمل يعطي معنى للحياة،، والمقصود طبعاً حياته هو،، وأنه لولا العمل الذي يقوم به لما شعر بطعم ولا معنى للحياة،، وأنه لا يعرف كيف سيستطيع أن يعيش حياة التقاعد التي من المفروض أنه لا بد وأن يصلها بعد سنوات قليلة عندما لا تعود صحته تتحمل عبء العمل والتفكير في الأمور الجادة التي تحتاج إلى تركيز عالٍ وقرارات جادة وخطيرة النتائج.

أجابته "كريستين" بالإيجاب وسارعت متجهة صوب باب المكثب ومدّت يدها لتفتح الباب وتذكرت أنها يجب أن تتصل بالمطعم لحجز طاولة لشخصين، فالتفتت صوبه وسألته كما كانت عادتھا في كل مرّة تقوم بالاتصال بالمطعم لكي تحجز له

طاوله،، فسألته لمجرد التأكد من أنه فعلاً يقصد المطعم الراقي الذي في بالها وإذا كان يرغب بحجز طاوله معينه،، فردّ عليها:

- لا،، لا داعي هذه المرة للاتصال لحجز طاوله،، أنا أرغب في الخروج اليوم بشكل أساس، ولو لم يكن هنالك طاوله لنا في هذا المطعم،، فأعتقد أن فكرة تناول الغداء في أي كشك للوجبات السريعه لا بأس بها!!،،،

صدمت مرّة أخرى بجوابه وثمّنت لو أنها لم تسأله وإكتفت بأن تتصل بالمطعم بنفسها لتقوم بحجز أي طاوله لإثنين ومن دون الرجوع له لكي يصبح الأمر أكثر تأكيداً لها بأنها ستتناول معه طعام الغداء في مطعم “La Paupiette” الراقي،، وليس في كشك من أكشاك الوجبات السريعه،،

جاءها صوته بعد أن إنتبه إلى صدمتها قائلاً:

- أنا فقط أمزح،، ولكني مع ذلك لا أريدك أن تتصلي بهم لأنني أريد اليوم أن أغير وأن أتجاوز المؤلف،، كما أني لا أتصور أن المطعم سيكون محجوزاً تماماً،، خصوصاً في مثل هذا اليوم،،

واففته على رأيه وفتحت الباب لتخرج متوجهة إلى مكتبها، وفي فكرها تشاؤم أنها ونتيجة لما تعرفه وشاهدته من سلوك الناس

في هذا اليوم جعلها تتصور أن المطعم ربما لن يكون مؤهلاً في مثل هذا اليوم لإستقبال زبائنه،،

إن مثل هذه الأماكن هي التي تجمع المتناقضين من الناس،،  
ففيها الذين ربما يمثلون أقصى الطرفين بالمقياس الإجتماعي  
والإقتصادي، من الذين يعيشون في مدينة غنية بإفراط مثل هذه  
المدينة،، أو على الأقل هذا ما يظهر على هذه المدينة ويُعرَف  
عنها،، في حين أنه نادراً ما يُلقى الضوء على الطرف الثاني  
من المعادلة والذي لا بد منه لمسيرة الحياة في هذه المدينة، وذلك  
هو ما يمثله الطرف الآخر الضعيف، الذي يقوم بجميع الخدمات  
اللازمة لراحة الطرف الأول،،

إنه ربما أول عقد إجتماعي تم الإتفاق عليه بين هذين الطرفين  
منذ وضوح شكل الحياة الإنسانية،،  
ورغم أنه لم يتم التوقيع عليه فعلياً كما هو الحال مع العقود  
كلها،،

إلا أنه إستطاع أن يدوم عبر العصور،، وأكثر من أي عقد آخر  
في تاريخ البشرية!!

خرجت "كريستين" إلى مكتبها وهي تشعر بأنها قد بدأت تدقق  
في الأشياء من حولها مما تراه وتسمعه من الأمور التي كانت  
تعتبرها من الأمور الحياتية اليومية التي لا تستوجب التوقف

عندها ولا تستحق ملاحظتها،!!

- يا إلهي ما هذا الذي أفكر فيه،، ولماذا أفكر فيه الآن ولم يكن في فكري طوال حياتي،،؟؟  
قالتها في نفسها،، وهي تدخل مكتبها،،

شعرت بالحاجة لأن تجلس على كرسي مكتبها لدقائق لكي تسترجع قوى تفكيرها، ولم تنتبه إلى أي أمر في المكتب ولم تكن تشعر برغبة حتى بفتح جهاز الرسائل لكي تستمع للرسائل التلفونية، بل جلست على الكرسي وهي متحفزة مشدودة لا تستطيع الإسترخاء فعلياً كما كانت ترغب،،

أما هو فقد وقف عند شباك مكتبه ينظر إلى المقاطع غير المحجوبة من الأفق البعيد، محاولاً تجنب النظر إلى البنايات الشاهقة الإرتفاع التي تجذب الإنتباه وتشتت التفكير، والتي عندما ينظر إليها لايعود الأفق شيئاً مهما يستحق النظر إليه،، فتلك البنايات الشاهقة الإرتفاعات كانت وبصورة غير مباشرة تحجب الكثير من إمتداد الأفق،، والذي حاول أن يمد نظره إليه،، وقد بدأت تنبعث وتتدافع في رأسه ذكريات وصور من حياته الماضية، لتستعيد ذاكرته كيف إستطاع أن يصل بكفاحه الطويل المضني، ومجازفته بالكثير من الأمور وتفرغه التام للعمل، حتى وصل إلى موقعه الحالي الذي يبدو أنه لا يعتبره

النهاية التي يصبو إليها، ولا هو بالشيء الذي يمكن الإطمئنان عليه وعلى إمكانية الاحتفاظ به من دون متابعة وجهد ومثابرة مستمرة، وعلاقات عامة مع أناس ربما لا يحب الالتقاء بهم أو ربما لا يحب حتى مجرد معرفتهم!!

شعر فعلاً بأن الحياة متعبة ومملة بلا شك في الكثير من جوانبها،

وأن الجهد والتعب والمعاناة فيها ربما كانت أكثر بكثير من المتعة نفسها،

فإذا ما كان الشخص القوي مثله والذي يتمتع بقدرات مالية وتنفيذية عالية يبقى محتاجاً أن يبذل المزيد من الجهد المستمر لكي يحافظ على قوته ومكانته،

فمتى يمكن لقوته وإمكانيته أن تؤمّن له الإطمئنان من احتمالية تفوق الآخرين عليه؟

وهل أن ذلك ممكن أصلاً؟

وكيف هو حال الناس الضعفاء الذين لا يمتلكون جزءاً يسيراً مما يمتلكه هو؟

وكيف يمكن أن يكون حال شعورهم اليومي؟

هو يعرف الكثير عن هذا الشعور فقد مرّ بفترات في بداية حياته من الأوقات الصعبة جداً، وتذكر كم اضطرتّه الأيام الصعبة

تلك إلى أن يتخذ مواقف لا يقرّها اليوم إذا ما تواجه مع مثلها،  
وهو يدرك تماماً أن القوة التي إكتسبها هي ما تؤهله اليوم  
للوقوف غير مُجبر على فعل شيءٍ مخالف لرغباته،  
ومن هنا فإن ما يرغب فيه بإمكانه أن يصل إليه،  
ولكن على ما يبدو أن الأمر الآن يزداد صعوبة مع تقدم  
السنين،

والحياة لم تعد توفر الطمأنينة لأحد،  
فهي قادرة على إسقاط وهدم كل المنجزات الفردية التي يبذل  
الفرد حياته كاملة لتحقيقها،  
كما أنها أصبحت تزداد في صعوباتها مع من هم لا يمتلكون  
القدرات التي يمتلكها!!

إنها على ما يبدو مثل مصارعة العبيد التي أوجدها الرومان في  
أيام عظمة دولتهم وطغيانها،  
عندما كان يتصارع فيها العبيد،

وكانت النتيجة لاتقبل بقاء الإثنين أحياء معاً،!!  
بل البقاء دوماً للفائز، ولو إلى حين، والنهاية السريعة ستكون  
مصير الخاسر،

ولكن الفائز ينتهي بدوره نهاية أبطأ وأبشع، عندما يعيش مرحلة  
المعاناة أثناء القيام بعملية صلبه!!  
أليس في هذا سخرية ما بعدها سخرية،

ونحن اليوم نعيش نفس هذه السخرية بعد أكثر من ألفي عام،

ونحن ندعي أننا حققنا شوطاً في مسيرتنا في الرحلة الإنسانية  
الطويلة؟

إنها بلا شك سخريّة مابعدّها سخريّة،  
فإذا ما كانت الدولة التي بنيناها لا تستطيع أن تمنع أو بالأحرى  
لا تهتم لسقوط وموت الكبار فهل ستهتم لموت الصغار؟؟  
أليست هذه المعاناة التي نعانيها من أجل المحافظة على ما  
أنجزناه وحققناه من رفاهيّة،

هي عمليّة (صلب) من نوع جديد؟؟  
صلبٌ للمتصرّين،، يظّلون فيه معلّقين بين الأرض والسماء،،  
لا يعرفون متى يسقطون!!

لم تجلس "كريستين" طويلاً على كرسيها في مكتبها تلك الجلسة  
المتشنجة، بسبب وقوعها تحت تأثير ثقل الأفكار السوداوية  
المحزنة مما تحدّث به معها "جون" زوجها،، بل إنها تحولت  
بتفكيرها بعد لحظات لكي تبدأ تأملاتها في الساعات القادمة  
للهرّوب من هول تلك الأفكار، عندما ستذهب لتناول الغداء مع  
ربّ عملها، ولأول مرّة في ذلك المطعم الراقى الذي لم تكن  
تتوقع يوماً أن تكون أحد زبائنه،، لكنها كانت تشعر مسبقاً أنها  
لن تكون مهياًة للإستمتاع كلية بذلك كما يجب، بسبب ما يملأ  
فكرها من التصورات العنيفة التي تتضارب في رأسها والتي لا  
يمكنها التخلّص منها ولو للحظات،،

لم تشعر برغبة للوقوف والعودة لمكتب سيدها للمغادرة إلى المطعم الذي أعجبتها كثيراً فكرة تناول الطعام فيه،! فأدارت جهاز التسجيل التلفوني الذي يبدو أنه قد سجل عدداً من المكالمات المقطوعة والتي لم يترك أصحابها رسائل مسجلة، غير أن البعض من موظفي الشركة الذين لم يستطيعوا الحضور اليوم قد تركوا رسائل تقول أنهم ربّما سيتأخرون قليلاً من الوقت في الغالب لنفس السبب الذي تأخرت هي لأجله،،

أطفأت الجهاز وشعرت بأن ذلك أفضل مما لو أن أحدهم قد ترك رسالة مهمّة وهي في مثل هذا الحال، حيث لا ترغب في أن تتعامل مع أي شئٍ طارئٍ الآن،، تذكرت أن تخرج من مكتبها لتري من هم الموظفون الذين لم يحضروا هذا اليوم فرأت أن الموجودين هم خمسة فقط ولم تعلم، كما أنها لم تهتم لتعلم من منهم كان موجوداً غيرهم وربما قد خرج الآن لفترة الغداء،، لوحت بيدها لتحية الموظفين الجالسين على مكاتبهم في مواجهة شاشات الكمبيوتر، مبتسمة إبتسامة خفيفة وخاطفة من وراء الزجاج الفاصل بين المكاتب،، ردّ عليها بنفس الطريقة أولئك الذين لمحوها، وهناك من إستمر في تركيزه على النظر لشاشة الكمبيوتر غير عابئ بشئٍ من حوله! لم تهتم لذلك إذ أنها كانت مشغولة الفكر بما هو أهم،، كما أنها لم يعنّها كثيراً من هو موجود ومن هو غير موجود في مكتبه، حيث أنها لا

تعرف الكثير عن طبيعة أعمالهم وما يؤديونه من مهمات للشركة، إذ أنهم كلهم يعملون كما هو إختصاص الشركة في قضايا الدراسات المالية والاقتصادية والإستثمار، والتي تترك الحرية للموظف لإختيار طريقة إنجازه لها حيث أنها عمل يُعطى للموظف الذي عليه إنجازه حسب تقديرات ما يستغرقه من وقت وقد يقضي الموظف المسؤول عن إنجاز العمل بعض الساعات وربما أيام في منزله للعمل على جهاز كومبيوتر بيته الخاص بدلاً من أن يأتي فعلاً للمكتب في الشركة، وذلك متروك له لأنه عليه أن يُنجز العمل بالشكل المطلوب لكي يستحق راتبه والمكافأة، وهذا ما تعتمد إليه الكثير من الشركات الكبيرة التي تعمل في مجال الدراسات المالية والاقتصادية، وبالرغم من أن ذلك لم يكن يعنيها بشيء إلا أنها وبدافع الفضول كان بודהا معرفة من يمكن أن يكون قد تجاوب مع الدعوة المشؤومة؟

\*\*\*\*\*

## في الطريق إلى المطعم،،،،

خرج "بوب" ومعه "كريستين" بسيارته من موقف السيارات إلى الشارع، الذي ما يزال غير مزدحم وعلى غير المعتاد في أيام الأسبوع،، وقد جلست بجانبه وهو يقود السيارة متوجهين إلى المطعم وحسب ما كان مقرراً،،

لم يُقَلْ هو شيئاً،، فقد كان ما يزال على ما يبدو غير مُصَدَّق لمعظم ما قد سمعه من "كريستين"،، ليس بمعنى عدم التصديق، ولكن بمعنى ما يريد أن يُقدِّم عليه زوجها من عمل (إنتحاري)، وما يتطلبه القيام بهذا العمل من قدرة عالية على تجاوز حاجز الخوف والإلتصاق بالحياة،، وما يحتاجه من درجة عالية من التدهور النفسي والشعور بالهزيمة والإحباط،،

لم يكن ليُصدَّق ذلك لولا أن "كريستين" هي التي أخبرته به،، وبالرغم من أن الأمر كله لم يتحقق،،

لكنه اعتبره حتى مع هذه المرحلة البدائية يمثل إعلاناً صريحاً

لرفض الحياة!!  
إنه الرفض التام لها عندما لا تستجيب لأبسط حاجات ورغبات  
وطموحات الفرد!!  
ولكن ماهي هذه الطموحات التي مالم تتحقق يكون عندها بعض  
الناس مستعدون للتخلي عن حياتهم؟؟  
أليس في هذا الكثير من المعاني التي تختلط فيها وتمتزج القيم  
المادية بالقيم المعنوية من الشيء؟  
أي شيء؟؟  
ثم، أليست الحياة هي أهم شيء يمتلكه الإنسان...؟!!

أما "كريستين"، فقد كانت هي أيضاً هادئة صامته منذ أن هبطا  
معاً بالمصعد من المكتب إلى موقف السيارات في قبو العمارة،  
إلى أن قررت أن تكسر الصمت بسؤال فاجأته به بعد أن سارت  
السيارة مسافة قصيرة في الشارع العام، فكان سؤالها مفاجئاً  
وغير متوقع كلية:

● "بوب" ،،، هل تؤمن بوجود (الرب)؟!؟!؟

لم يكن "بوب" يتوقع منها سؤالاً كهذا إطلاقاً،  
وفي الحقيقة إنه لم يسبق له أن سأله أحد هذا السؤال من قبل!  
أو على أقل تقدير بقدر ما يستطيع أن يتذكر الآن!

فالناس بصورة عامة تفترض أن الغالبية العظمى تؤمن بوجود (الرب)، وبالرغم من أن الناس يختلفون فيما بينهم من حيث أهمية هذا (الرب) ومكانته في حياتهم ومسيرتهم الشخصية وسلوكهم، إلا أن الإيمان هو العنوان الكبير الذي يغلف ويصنع أجواء المجتمع من الخارج!!

لقد كانت مفاجأة السؤال واضحة عليه، لدرجة أنه أسند ظهره إلى مقعده في السيارة بصورة أكثر إلتصاقاً، وكأنما كان يريد أن يستند إلى ظهر أقوى لكي يستطيع أن يمتص وقع المفاجأة، قبل أن يجيبها على هذا السؤال الذي لم يكن يتوقعه،

ولكنه في داخل نفسه قد شعر، وربما لأول مرة، بأن مديرة مكتبه تفكر بعمق في الأحداث، وليست كما كان يتوقع منها أنها تهتم فقط بالأمور العامة مما تحتاجه لتمشية أيام العمر من يوم لآخر، كما يبدو عليه حال معظم الناس ممن تشغلهم الحياة بضرورات المعيشة من عمل وإلتزامات، فهو أيضا ليس بالشخص البسيط التفكير، وقد أحس بما يمكن أن ترمي إليه "كريستين" من سؤالها هذا:

"هل تؤمن بوجود (الرب)؟"

ظلّ صامتاً للحظات، كما لو أنه يستجمع تفكيره لكي يخرج  
الإجابة المناسبة لهذا السؤال المفاجئ،،  
ثم أطلق زفيراً غير عادي من أعماق صدره قبل أن يجيبها وهو  
مايزال ينظر بعيداً إلى الطريق أمامه:

- كنت أعتقد أنني أو من،،، لكنني الآن لست متأكداً!!  
ثم إلتفت ناحيتها للحظة،، وأكمل جوابه:
- ربما علي أن أسجل هذه المسألة من ضمن العديد من  
المسائل التي أحتاج لإعادة النظر فيها، وللتأكد من أنني  
أعرف عنها أكثر مما أجهله،،  
أنا أعرف أن ذلك لن يكون سهلاً،،،  
ربما كان سيكون أسهل لو أنه حدث قبل عشرين عاماً،  
أو أكثر بكثير،،!!

ردّت عليه متسائلة:

- ..... ولماذا أنت غير متأكد الآن؟
- ..... لا أعلم،، ربما لأنني غير متأكد من أي شيء الآن!!  
يبدو لي أن كل شيء يجب أن أعيد النظر فيه لكي أتأكد  
من حقيقته!!
- ربما أنت على حق،،، فنحن قد ورثنا الكثير من الأمور  
التي نتعامل معها يومياً في حياتنا،، ولم نبتدعها نحن، أو

لم نخترها، أو نفاضل بينها وبين غيرها مما يختلف معها، أليس ذلك صحيحاً؟،  
إننا في الحقيقة لم نستطع إختيار إلا القليل من الأمور التي نعيش معها في حياتنا يومياً،،!!

أجابها بإيماءة من رأسه وإعجاب واضح بتعليقها هذا، وهو يحاول التركيز على الطريق أثناء قيادته السيارة، وقال في نفسه:

يبدو أن "كريستين" لديها من القدرة على تخطي حواجز التفكير ما ليس متوفراً للكثير من الناس غيرها،،  
رغم أنني لم أكن أعرف ذلك عنها،  
فهل يمكن أن يكون هذا نتاج هذه اللحظة،،؟؟  
أم أنه كان موجوداً في كل الأحوال،؟  
وكان فقط بحاجة للمناسبة والفرصة لإظهاره،،  
ليس من السهل معرفة ذلك،،  
أو على الأقل معرفته في هذا الوقت،،  
هذا أيضاً يمكن إضافته لما لا نعرفه من الأمور مما حولنا....

● لو قلنا أننا نؤمن بالربّ فعلاً،،، لماذا تعتقد أنه خلقنا؟؟  
تابعت "كريستين" موجهة تسأولها هذا له وهي تنظر إلى أمام والحيرة والشروود الذهني مازالا واضحين على نظراتها!!



العالم، وحسب ما أعتقد أنه كان من أول الأوليات التي  
إعتقد بها الإنسان،،

لاتسأليني لماذا قد أعطى الإنسان الأولوية لهذا الأمر؟؟  
لأنني حتى لو عرفت فإنه سيكون مؤلماً التصريح به،،  
خصوصاً إذا ما تبين لنا أن أساس الأمر كان مسألة  
سخيفة من خرافات ما كان يعتقد الإنسان الذي عاش  
قبل آلاف السنين!!

لقد سمعت عن حضارات موعلة في القدم كان الناس  
يهتمون فيها ببناء دور للعبادة أكثر بكثير من إهتمامهم  
ببناء بيوت لأنفسهم،،

ألا ترين ذلك سخيفاً،، بل غيباً لو أننا فعلنا ذلك الآن؟؟  
فأنا شخصياً لا أعتقد أن (الرب) بحاجة لمنازل يُعبد فيها  
أكثر من حاجة البشر لمسكن يلجأون لها ويسكنونها!!

لم تُجب "كريستين" على سؤاله في مذيلة كلامه،، بل إستمرت  
على ما يبدو في نظرها للأمام وكأنها تنهياً لسؤاله سؤالاً آخر،،  
وبالفعل جاء سؤالها سريعاً:

- هل تعتقد أن الرب، إن وُجد،،، يُحبنا؟؟  
أعني هل يحبنا كلنا؟؟  
أعني هل يحبنا بنفس الدرجة؟؟

مثلما أنا أحب "سوزان" و "تومي"؟  
ألم يعلموننا، أقصد في الكنيسة أننا أبناء الله وأنه يحبنا  
كلنا،، أنا لست متدينة كثيراً، ولكني أعلم ذلك،...

أعجبه ما سمعه منها في سؤالها، وإنتهزها فرصة لكي يُضيف  
بعض المرح على الموضوع الجادّ الذي يتحدثان به منذ ساعات  
فأجابها:

● أظن أن علينا أن نتوجه بهذا السؤال لوكلاء (الربّ) في  
الأرض!!

هنالك الكثير منهم، ولكن،،...

هل تعلمين أننا قبل ذلك علينا أن نطالبهم بما يثبت صحة  
وكالاتهم منه!!

وأن عليهم أن يُثبتوا أن وكالاتهم، إن وجدت،، ماتزال  
صالحة ولم يقم هو بإلغائها!!

هذا طبعاً إذا ما كان فعلاً أنه قد أُصدر لهم وكالات!؟

ألسنا نعيش في القرن الواحد والعشرين حيث لا يستطيع  
أحد أن يدّعي أي شيء من دون إثبات،،؟

وإلا فإن عليه أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك،،،  
وأول هذه النتائج إستدعائه للمحاكم!!

وأكمل وهو يضحك ضحكة خفيفة يبدو منها أنها ترمز للتشفي  
والإستخفاف بجهة ما!! وحاول أن يكتمها قائلاً:

- إنها بلا شك ستكون قضية العصر،، بل التاريخ كله في مواجهة النصب والإحتيال،،  
إنه نصب وإحتيال على المليارات من البشر!!  
من كل الأجناس،،  
نصب وإحتيال إستمر لآلاف السنين، وراح ضحيته  
الملايين من البشر!!  
وكالات غير شرعية تدّعي وفقها جهات مختلفة أنها قد  
تم توكليلها من قبل أقوى القوى في العالم!!

قال ذلك و إبتسامته تزداد وضوحاً و إتساعاً على وجهه، بعد أن إستحسن الفكرة التي توصل لها، ورأى فيها ما يغيّر بعض الشيء من الجو القائم والحديث المفعم بالجدّ، ويجعل له طعماً فيه ما يُرَوِّحُ بعض الشيء عن النفس، حتى وصلت إبتسامته حد الضحك الواضح الذي حاول مغالبتة أكثر من مرة،، ثم تابع قائلاً:

- أتعلمين أنه سيكون في ذلك الكثير من المتعة عندما نطالب وكلاء (الربّ) بالوثائق والإثباتات للمصادقة على تلك الوكالات!!  
وربما نطالبهم بتعويضات عمّا تسببوا فيه من حروب وتطاحن فيما بينهم في كل مرّة إختلفوا فيها عبر التاريخ،،،

وفي كل مرّة كانت تتشكل جيوشهم في تلك الحروب من  
الناس الذين لا يفقهون حقيقة الأمور،،  
بل كانوا فقط تابعين مدفوعين بدوافع ساذجة وجاهلة،  
وكان معظمها يصل لدرجة السخف والإنحطاط!!  
ألم يكن من الواجب عليهم بصفتهم الموحدة هذه  
وإدعائهم أنهم وكلاء (الرّب)،،  
أن يتفاهموا فيما بينهم بشكل حضاريّ أفضل،،  
بدلاً من اللجوء إلى الحروب عبر التاريخ وتسببهم بقتل  
الملايين من البشر المساكين،،  
مساكين أيها البشر،، إننا فعلاً (أغنام الرّب)!!  
ولكن الفرق أننا عندما نُذبح نتيجة لتلك الحروب لن  
يكون هنالك مستفيد من موتنا غير بضعة من الناس  
الأشرار،،  
ولن يستفيد من لحومنا غير ديدان الأرض!!

\*\*\*\*\*

وصلا أخيراً إلى موقع المطعم، ولم يكن الوضع كما هو المعتاد، فلم يجد هذه المرّة أحداً من البوابين الذين يتولون قيادة سيارات الزبائن إلى المواقف الخاصة بالمطعم، فأضطر لإيقاف السيارة أمام بوابة المطعم، ثم النزول منها والتوجه نحو البوابة لمعرفة ما يجري حيث كان واضحاً أن المطعم مفتوح كالمعتاد، بينما ظلّت هي جالسة في السيارة تنتظر ولا تعلم ما تفعل،، دخل "بوب" إلى المطعم ليلتقي بمسئول الإستقبال "إيستيفان" الذي يعرفه وقد بدا عليه الارتباك، وسأله لماذا لا يوجد أحد عمال خدمة السيارات في الخارج؟ إعتذر "إيستيفان" متلعثماً وأخبره أن الأمور غير عادية اليوم، حيث أن عدداً من العمال لم يحضروا كالمعتاد وأنه سيقوم بنفسه بأخذ سيارته إلى الموقف الخاص بالمطعم!

عاد "بوب" ليخرج من المطعم ومعه "إيستيفان"، وليطلب من "كريستين" النزول من السيارة لكي يدخلها المطعم سوياً، فترجلت من السيارة، ودخلا سوياً إلى المطعم، ثم كان عليهما في المعتاد إنتظار عودة "إيستيفان" الذي ذهب ليركن سيارة

"بوب" بنفسه، لكي يجلسهما إلى طاولتهما، وكان الكثير من الطاولات غير مشغولة، ولما تأخر "إيستيفان" بعض الشيء، دعى "بوب" "كريستين" للجلوس إلى إحدى الطاولات ذات الموقع الذي يعجبه،

ولما عاد "إيستيفان" رأهما قد إختارا إحدى الطاولات وجلسا حولها، فتوجه نحوهما وقال بأسلوب الباعة اللبّيقين المتملّقين:

● سيدي، لقد أحسنت الإختيار، وسوف تعجبكم هذه الطاولة فقد كنت أنوى أن أقترحها عليكم!!

وكان "إيستيفان" يحمل قائمتين من قوائم وجبات الطعام والشراب التي يقدمها المطعم، وبدأ يسرد ما قد تَعَوّد سرده على الزبائن خصوصاً الذين يعرفهم جيداً ويعرف ذوقهم، وإستغرب منه "بوب" لماذا هو اليوم يقوم بنفسه على خدمة طلبات الزبائن؟ وطلب منه أن لا يهتم الآن بأمر طلباتهم لأنهما سيختاران من القائمة أي شئٍ يعجبهما،، فأجابه "إيستيفان" قائلاً:

● عفواً سيدي، ربما أن اليوم يختلف عن الأيام الأخرى المعتادة وهذا ما يجعلني أحاول تسهيل الأمر وشرح مداخلته،، ذلك لأنه ليس كل ما موجود في القائمة متوفر لدينا اليوم، ولعدة أسباب منها أن مُجهّز اللحوم والخضروات لم يستطع تجهيزنا هذا اليوم بما إعتاد أن

يُجهزنا به يومياً، وأنت تعلم سيدي أننا نحرص على نوعية المواد التي نقدمها لزبائننا، كما أن إثنين من مساعدي الشيف الرئيس لم يحضرا هذا اليوم، ولهذا لن نستطيع الشيف وحده ومن معه هذا اليوم تهيئة كل الوجبات التي عُرف مطعمنا بها وتعودنا على تقديمها يومياً،، أنا آسف جداً سيدي، لكن الأمر يبدو أكثر من قدرتنا على السيطرة عليه،، فرّد عليه "بوب" متسائلاً:

- ما هذا الذي يحدث،،؟ ولماذا تعتقد أن مساعدي الشيف وبعض العمال لم يحضروا للعمل اليوم؟

أجابه "إيستيفان":

- سيدي،، صعوبة هذا اليوم ليست مقتصرة على عدم حضور مساعدي الشيف وبعض العمال اليوم، ولكننا أيضاً لا نستطيع الجزم بالسبب الذي منعهم من الحضور، غير أنني أعتقد أنه بالتأكيد سبب جدّي وربما خطير، وليس مما يسهل الإعتذار عنه،،

ردّ "بوب" متسائلاً:

- ولماذا تعتقد أن السبب جدّي وخطير؟

أجابه "إيستيفان":

- ذلك لأننا لم نسمع من أي منهم سبباً لعدم حضوره،،

فسأله "بوب":

- هل تعتقد أن لهذا الغياب علاقة بهذه الدعوة؟؟،،، لا بد وأنتك تعرف ما أقصد؟؟
- نعم، نعم سيدي بالتأكيد أعرف،، فالجميع يعرفون عنها الكثير،، ربما لست واحداً منهم،، ولكنني (وتنهد عند قوله) أعرف عنها ما يكفي لقضاء يوم مزعج، ولكنني لا أريد أن أكون سبباً لإزعاج سيدي الذي يحتاج لوقت يرتاح ويسترخي فيه ونحن سنحاول ما نستطيع في هذا الجو المشحون أن نكون عند حسن ظنكم،،

ثم إستأذن ليتركهما يختاران ما يرغبان فيه ناسياً أو متناسياً أنه لن يستطيع تقديم كل ما موجود في قائمته،، حيث كان عليه أن يراقب زبائنه الآخرين، فقد كان البعض منهم ينتظره لإنهاء كلامه لكي يطلب منه خدمة،،

عاد "بوب" إلى "كريستين" التي كانت تنصت بصمت وهدوء لكلام وشرح "إيستيفان"، فسألها بجدية تامة:

- هل كنت تعرفين أن الأمر بهذه الجدية؟
- نعم،، ولذلك كنت إقترحت أن نتصل قبل أن نأتي،،
- نعم،، ربما كان علينا أن نتصل،، ولكنني لست مهياً لأن أغير ما أعتدت عليه بسبب حدث مثل هذا،،

- هل تعني أنك تعتبره حدثاً أو أمراً بسيطاً؟
- لا، بالتأكيد أنه أمر جدّي وكبير،، ولكنني ما زلت أحاول أن أرى كيف يمكن أن يؤثر على مسيرة الحياة اليومية؟
- ....لابد أنك تمزح،، كيف يمكن أن لا تتصور إلى أي مدى يمكن أن يؤثر هذا الأمر على الحياة اليومية؟  
أنا لا أصدق بسهولة أنك جادّ فيما تقوله؟  
لابد أنك تختبر معلوماتي العامة؟
- كلا،، كلا،، ربما أنني لم أختار التعبير الصحيح،، فقد رأيت بنفسني منذ الصباح العديد من مظاهر الجديّة في التأثير ولكنني ما زلت أعتقد،، وقد أكون مخطئاً،، أن الأمر لن يدوم طويلاً وأنه لن ينتقل إلى مرحلة الجديّة في التنفيذ،، ما رأيك أنت؟

صمتت لثوان طويلة،، لكي تجيب بعدها:

- أتمنى أن يكون إعتقادك صحيحاً، وأن لا تستمر هذه الدعوة أكثر من أيام،، لكنني شخصياً أعتقد أن ذلك غير دقيق، لا أريد أن أقول أنه خطأ، لأننا كلنا من الممكن أن نكون على خطأ، كما أننا يمكن أن نكون على حق عندما يتعلق الأمر بما سوف يحدث في المستقبل،، لأنه عند الحديث عن المستقبل تكون الأمور مجرد توقعات،، ولذلك فإنها تتقبل كلّ الاحتمالات...

- أنت على حق، ولكنني في الغالب كنت أعتقد أن مكاناً كهذا لا يمكن أن يتأثر بمثل هذا الأمر، فهو مكان يرتاده الناس الذين لا يتذمرون من طريقة سير العالم، لأنهم هم من يحكمون ويحرّكون العالم، كذلك فإن الذين يعملون فيه ويقدمون الخدمات، لا أعتقد أنهم غير سعداء بعملهم هنا، ولذلك لا أتوقع أنهم يمكن أن يفكروا بإنهاء حياتهم، ولا أعتقد أنهم يمكن أن يؤيدوا فكرة كهذه أيضاً، كما رأيت ذلك بنفسك في سلوك "إيستيفان" الذي أعرفه منذ سنوات عندما بدأ عمله في إدارة الإستقبال في هذا المطعم.....

فقاطعته وهي تبسم بإستغراب وقالت:

- أنا لا أعرف لماذا تبدو لي الآن فقط وكأنما أنك تفكر بجانب واحد من القضية، وتتجاهل أو ربما لا تهتم لما يمثله الجانب الآخر، فأنت، لا بد أنك تعلم أن هؤلاء الناس - وأشارت إلى من هم خلفها من الجالسين في المطعم معتبرة أنه كان يقصدهم في كلامه من أنهم لا يتذمرون من الأوضاع في العالم- إن هؤلاء الناس ليسوا هم الذين يحرّكون العالم فعلياً، أنا متأكدة أنهم يستطيعون فعل الكثير الذي لا يخطر لي على بال، ولكنهم بالتأكيد لكي يعيشوا حياتهم كما يحبون، يحتاجون إلى خدمات

الملايين ممن لا نراهم وهم يتحركون وراء الستار،،،  
وهؤلاء المتحركون يمكن أن يكونوا سيئين،، كما أنهم  
بالتأكيد يمكن أن يكونوا جيدين في إستعداداتهم لفعل  
الأشياء التي يعتبرونها مهمة لهم أو أن جهة ما تطلبها  
منهم أو تدفعهم للقيام بها!

قاطعها بسرعة مبتسماً وبمحاولة لتلطيف الجو قائلاً:

● أعتقد أن لديّ مديرة مكتب شيوعية!!  
ولكن ذلك لا يهم مادامت لا تمتنع من إرتياد الأماكن  
التي يدعوا الشيوعيون لإلغائها أو على الأقل عدم  
إرتيادها،، وما دامت حريصة على خدمة الشركة التي  
تعمل بها،،

أجابته قائلة:

● أنت تعلم أنني لست شيوعية ولا حتى إشتراكية،، وأنا في  
الحقيقة لا أفهم في السياسة ولا حتى في الاقتصاد،،  
أعرف كيف أدبر أمور ميزانية البيت بصعوبة بين قيمة  
دخلنا الشهري والمصاريف التي نحتاجها، ولا أخجل  
من القول بأنني أعجز وأحترار في أي من الأشياء يجب  
أن أعطيه الأولوية، فهناك في كل شهر مصاريف  
مفاجئة تحتاج للتقصير في جوانب أخرى،،  
أنا لا أعتقد أن هؤلاء الناس (وأشارت بأصبع يدها بخفاء

إلى الورا مشيرة مرة أخرى للجالسين في المطعم)  
يعانون من مشكلة مثل مشكلتي،، أو مشكلات الناس  
البسطاء!!

ردّ عليها هنا بسرعة:

● لماذا تشيرين لهم وأنت أمامك واحد منهم،؟؟

فسارعت إلى الإعتذار قائلة:

● أنا أسفة أننا وصلنا إلى هذا الحد وأنزلق لساني لقول ما

لا أعنيه،، إنه بالتأكيد ليس مثلما ربما أنك تصورته،،

● أنا لم أتصور شيئاً سيئاً،، وأعتقد أنك تقولين الواقع،،

وعلي أنا أن أسمع ذلك منك،،

وفجأة قفز إلى سؤال:

هل ترغبين أن تكوني مثلهم؟ أعني هل ترغبين أن

تعيشي حياتهم؟

● بالطبع أرغب في ذلك،، كيف يمكن لي أن أكون صادقة

إذا ما قلت غير ذلك،، أعتقد أن كل واحدة مثلي أو ربما

حتى من تستمتع بما هو أكثر مما لدي إنما تحب أن

تكون وأن تعيش مثلهم،، إنها مسألة أقيسها بمقدار ما

أستطيع أن أمتلكه من قدرة على مواجهة مشكلات هذه

الحياة، أو لنقل مواقفها الصعبة التي غالباً ما تضطرنا

للتضحية في مجالات مختلفة،،

نحن نضحى بالكثير مما نشعر بالرغبة في الحصول  
عليه أو الإحتفاظ به،  
ربما حتى في مشاعرنا.....  
وعلينا دوماً أن نتقبل التضحية....  
بل في الحقيقة علينا أن نعتبر التضحية وخدمة الآخرين  
هي قدرنا المحتوم!!  
● هل تعنين بكلمة أخرى أنك ترغبين أن تعيشي مثلي، أو  
تكونين في مكاني؟؟

فاجأها بهذا السؤال،، فأجابته بإبتسامة يتضح فيها الخجل  
والجراءة والشجاعة معاً:  
● نعم،،، ولكن ليس بالضبط مثلما قلت،، فأنا ما زلت أريد  
أن أبقى امرأة،،

قالتها وضحكت بصوت أعلى مما إعتادته هذا اليوم، وضحك  
هو معها، وللمرة الأولى يضحكان معاً منذ الصباح،، ولكنها  
سرعان ما إنتبهت لنفسها وتذكرت زوجها وطفليها، فعادت  
لهدوئها، وساعدها على ذلك سؤال "إيستيفان" مدير الإستقبال  
في المطعم، عندما عاد إليهم متسائلاً إذا ما كانا قد إختارا شيئاً  
من قائمة الطعام وكان يوجه السؤال لكليهما، وقد إنتبها إلى  
أنهما حتى لم ينظرا لقائمة الطعام، فسارع "بوب" لتلافي

الموقف قائلاً له:

● "إيستيفان"، بما أنك تقول أنه ليس كل ما في القائمة متوفر، فلماذا لا تقترح أنت علينا أفضل شيء في رأيك يمكن للشيف أن يُعدّه لنا، وأنت أيضاً اختر لنا زجاجة من أجود ما عندك من النبيذ،  
أجابه "إيستيفان" مستحسناً منه هذا الإقتراح:

● سوف أكون عند حسن ظن سيدي، وسأخبر الشيف أن يُعدّ أفضل ما لديه ولن يستغرق ذلك أكثر من عشرين دقيقة، ربما نصف ساعة على أكثر تقدير نتيجة للوضع الإستثنائي هذا اليوم، وسوف يكون النبيذ على طاولتك خلال دقائق.

لم يكن أي شيء في هذا اليوم إعتيادياً بالنسبة لـ"بوب"،، في الحقيقة لم تكن الأشياء عادية منذ ليلة البارحة،،  
فلا الشارع كما هو معتاد من حيث الزحمة،،  
ولا الساعات التي قضاها في الشركة كانت كالمعتاد،،  
ولا المطعم كما إعتاد أن يجده في مثل هذا الوقت،،  
والأهم من ذلك كله أن "كريستين" ليست اليوم كما عرفها منذ أن عملت لديه منذ أكثر من ثماني سنوات، عندما كانت تقترب من الثلاثين من عمرها وقت حصولها على نفس الوظيفة التي تعمل بها الآن لديه بصفة سيكريتيرته الخاصة ومديرة مكتبه،،

لقد بدأت بالعمل بجديّة ومثابرة وكانت تستحق وظيفتها بجدارة  
وما زالت كذلك،،  
لكنها اليوم بالتأكيد تبدو له كما لو أنها كانت تخفي قدرة كبيرة  
على التدقيق في الأمور وفي كل ما حولها،،  
ولا يبدو أنها تأخذ الأمور على عِلاتها وبشكل ساذج كما كان  
يتصور، بل إنها تحاول أن تختار الإختيار الصحيح،،

لقد دارت هذه الأفكار في مخيلته وهو يرتشف الرشقات الأولى  
من كأس النبيذ الذي أحضر النادل قنينته إلى طاولته، ولم يُعر  
"بوب" إنتباهاً حتى لمن جلبه فقد كان شاردأً وغلبته الأفكار ولم  
يهتم لمن حوله،،،

أما "كريستين" فقد إستغلت لحظات إستغراقه في التفكير لكي  
تستمتع ما إستطاعت بالنظر وتفحص ما حولها في صالة  
المطعم، بالرغم من أنها أيضاً كانت ما تزال شاردة في أفكارها،  
مما منعها بعض الشيء من التمتع بالمكان المُميّز بالرقّي  
والفخامة، إلا أنها كانت تختلس النظرات كلما أمكنها ذلك  
بالنظر إلى الجالسين في المطعم،،

لم يكن بينهم الكثير من السيدات وكانت الموجودات كلهن يبدو  
عليهن أنهن أكبر سناً منها وأنهن لا يفكرن بأمر جدّي أبداً،،  
فهي لا تعتقد أن فيهن واحدة يمكن أن تعاني نفس ما تعاني هي

منه من مشكلة تتعلق بها وبزوجها وربما طفليها،  
وبالتأكيد لا يمكن أن تكون بين هؤلاء من يمكن أن تواجه  
ضائقة مالية خصوصاً عندما يكون زوجها عاطلاً عن العمل  
لمدة أشهر،،،

ولكنها في الوقت نفسه لم تكن سطحية التفكير بحيث تتصور أن  
هؤلاء السيدات الحاضرات ليس لهن مشكلاتهن الخاصة بهن،  
والتي يمكن أن تكون في الغالب مشكلات تافهة حسبما  
إفترضت!!

إن إحساسها الأنثوى يُنبئها بأن المرأة لن تستطيع أن تتجاوز  
مشكلة الجمال والمظهر والعمر، مهما بلغت من غنى وأموال  
تحت تصرفها،،، دارت في ذهنها تساؤلات تلو الأخرى.....

تلك السيدة التي تجلس لوحدها على طاولة في الركن البعيد،  
يبدو عليها أنها في منتصف العقد السادس من عمرها، ربما هي  
أكبر عمراً من ذلك، هل يمكن أن تكون في إنتظار شخص  
ليشاركها الطاولة؟ لا أعلم، لكنه لا يبدو عليها ذلك، فهي تنظر  
باتجاه الطاولات الأخرى، نظرة شخص لاشيئ يشغله، وترشفت  
رشفات خفيفة من كأس النبيذ الذي مازال أمامها على الطاولة  
منذ أن وصلنا ولم يتغير كثيراً ما فيه،، لقد تحدثنا عن الكثير من  
الأمر،، وتحدثنا أيضاً مع (إيستيفان)،، وهي مازالت تجلس  
لوحدها،، ليس من الصعب معرفة مدى الملل الذي يبدو غالباً

عليها، هل هي سيدة أعمال كما هو الحال مع "بوب"، أم أنها سيدة غنية تستمتع بقضاء وقتها هنا وهناك؟ حيث لا يعني لها شيئاً ما يكلفها ذلك من مصاريف،، والوقت، لا بد أن الوقت لاقيمة له عندها،،

كيف يمكن أن يكون شكل حياة مثل هذه المرأة؟  
لو أنني إمتلك بعض ما لديها من قدرة مالية!!  
ما هذا الذي أقوله؟!

كيف لي أن أعرف كم لديها من قدرة مالية،،؟  
وكيف لي أن أذهب إلى هذه التصورات البعيدة وأنا لا أعرف من تكون هذه السيدة؟

ولكن،، لماذا لا أذهب إلى هذا المدى؟  
أليس واضحاً عليها من أناقة ملابسها، والخاتم الذي يلمع من بعيد في يدها كلما اصطدم بشعاع ضوء من الشمعة التي تحترق أمامها على طاولتها!!

أنها من الواضح من زبائن المطعم حيث أن كل شيء حولنا هنا يبدو مألوفاً لها!

توقفي يا "كريستين" فقد ذهبت بعيداً في تصوراتك،، وأنت ما تزالين لم تعرفي كيف ستكون أحوال عائلتك ما تبقى من اليوم أو غداً!

وهنا قطع "بوب" عليها خلوتها مع أفكارها بسؤاله الذي جاءها

بقوله:

- إذن أنا أستطيع أن أفترض بناء على كلامك أن كلّ الذين يعملون لديّ يودّون لو يكونوا في موقعي، على الأقل فيما يخص الشركة وإمتلاكي لها، وذلك لأنهم، لا أعلم، لأن ذلك من الواضح أنه لا يحتاج لسبب، وأنه صحيح ما قلتيه،،  
إذ أنهم سيكونون أيضاً أغبياء لو لم يريدوا أن يكونوا في موقعي،،  
أليس ذلك صحيحاً، وألم يكن ذلك هو ما كنت تعنيه؟
- ليس ذلك هو ما قد قصدته بالضبط، ربما أنني أسأت أو لم أختار التعبير الصحيح عنه، فأنا أعتقد أن هذا الأمر يختلف من شخص لآخر،،  
ربما هنالك من يودّون اليوم أخذ مكانك أو ربما حتى إنتزاعه منك بالقوة لو يستطيعون،،  
كما أن هنالك آخرين يشعرون بالإمتنان لك لأنك تعطيهم فرصة جيدة للعمل بينما هنالك الكثير ممن هم في بحث دائم عن فرصة للعمل،،  
أعتقد أن هنالك أمراً قد يكون أهم من هذا كله، وهو أنك لن تستطيع بسهولة التمييز بين هاتين المجموعتين،،  
وأعتقد أن هذا الأمر ربما كان يخطر في بالك، ولو بشكل غير واضح، .....أقول ربما،،،!!

● لا أدري ماذا يمكن أن أقول عن هذا، لأنه ليس أهم ما أفكر به الآن،،، فهل تعتقدون أن ذلك،، أعني مساعدتي للموظفين في الشركة لدي، هو عمل كاف لكي لا يحسدوني أو،، ربما لكي لا يكرهونني،، حتى لو كان فقط البعض منهم وليس كلهم؟؟

فأنا لا يمكنني أن أتصور أنهم كلهم لا يضمرون مشاعر حسدٍ أو كُرهٍ تجاهي حتى من دون سبب واضح،، قد يكون الكثير منهم من يعتقد أنه أكثر كفاءة مني وأنه يستحق أن يأخذ موقعي بكفائته لو أتاحت له الفرصة!

● إن ما تفعله بمنحك وظائف جيدة لموظفيك بالتأكيد أكثر من كافٍ بالنسبة للبعض من الناس،،

ولكنك حتى لو فعلت أضعاف ما تفعله من مساعدة،، فلن يكون كافياً بالنسبة لآخرين ممن لا يستطيعون أن يتقبلوا أن يروا من هو متمتع بموقع أكثر قدرة منهم في كل المجالات،،

● إذن هذا يعني أن حلّ المشكلة أمرٌ ليس متعلقاً بي أنا فقط،، فهو يحتاج إلى تجاوب من الآخرين معي وأن يتقبلوني بالقياس لمقدار ما يحتاجه العمل لكي نستفيد منه جميعاً،،

فقاطعته قائلة:

● لا أعتقد أن ذلك سيكون سهلاً كما قد نتصور، فالأمر كما تصوره أنت الآن أشبه ما يكون بالحالة التي أعتقد أنه يسمونها (جمهورية إفلاطون) أو الجمهورية الخيالية أو الفاضلة،،

حسبما أتصور، وحسب المعلومة البسيطة لدي عن هذه الجمهورية التي لم يكن لها وجود،،  
وربما أغلب الظن أنه لن يكون لها وجود....

قاطعها هو هذه المرة قائلاً:

● لماذا تتصورين ذلك وأنا لم أتحدث إلا عن تعاون بيني وبين العاملين في الشركة لكي يسير العمل بشكل جديّ ووديّ وجيّد لمصلحة الجميع و ،،  
● إذا أردنا أن نتكلم بصراحة، لا بد لنا من القول أن الشركة هي أنت!!

وأن العاملين فيها يعملون لك ولمصلحتك بالدرجة الأولى، والشركة لا تقدم لهم غير فرصة للعمل تختلف مزاياها من درجة إلى أخرى، وأرجو أن تعذرني لصراحتي، مع أنني لست من أولئك الذين نقصدهم في كلامنا ممن يمثلون جانب الرفض أو عدم الرضا، فأنا نفسي ولا بد أنك تعلم ذلك، قانعة بما لدي ولم يخطر في بالي أن أحتل مكانك،،

نعم أنا أحسك على مكانتك وإمكانياتك ولكني لا أريد  
ولا أفكر في الإستيلاء على ما تتمتع به من قدرات،  
قد تفكر في ذلك امرأة أخرى لها طبيعة ونفس تختلف  
عني،  
وأنا صادقة في ذلك وليس فقط كما قلت سابقاً على سبيل  
المزاح أني أريد أن أظل امرأة،

وإبتسمت إبتسامة عريضة لقولها هذا، ولكنه لم يشاركها هذه  
المررة الإبتسام إذ يبدو أنه كان يفكر جدياً في ما قد قالت،  
فسألها:

- ماذا تعتقد أني يمكنني أن أفعله لتغيير نظرة هؤلاء  
الناس لي و لتطوير وزيادة تعاونهم معي،
- أنا آسفة لأنه يبدو أني قد فتحت موضوعاً قد سبب لك  
هذا الإزعاج،

وآسفة أيضاً للقول أنك غالباً لن تستطيع فعل ذلك،  
ولا أنصحك أن تحاول أن تفعل شيئاً لتغيير نظرة الناس  
لك، وهذا ليس بسبب إصرار هؤلاء الناس، ولا بسبب  
عدم قدرتك على تغيير نظرتهم وموقفهم، ولكن بسبب ما  
في نفوسهم مما لا قدرة لهم هم أنفسهم على تغييره،  
فهم أنفسهم لن يستطيعوا أن يقدموا لك أفضل من هذا،  
وأنا واثقة لدرجة كبيرة أنهم الآن يقدمون لك ربما أفضل

ما عندهم، أو أفضل ما يمكنهم تقديمه، أو ما تسمح به نفوسهم لتقديمه،

وذلك ليس حياً في مساعدتك،،

ولكن سعياً منهم لتثبيت مواقعهم في العمل ولتحقيق المكافأة التي يرجونها،

وأنا شخصياً أعتقد أن الأمور بهذا الشكل تمشي على قدر من العدالة،،

ربما ليست العدالة التي يعتبرها الكثيرون منهم (العدالة الحقيقية) ولكنها أفضل ما يمكن عملياً الوصول إليه وتحقيقه، وأنا أسفة لإثارة هذا الموضوع المزعج والذي لا يبدو أنه كان يخطر لك في بال،،

• لا، بل كان يخطر في بالي ولكن ليس بهذا الوضوح، وأنا شاكر لك إثارته وتنبيهي إليه،، ولا أعلم لماذا لم يحصل هذا النقاش بيننا من قبل؟

هل تعتقدني أنني يجب أن أسلك سلوكاً آخر في الشركة؟ لا أعني سلوكاً شخصياً، وإنما سلوكاً إدارياً بحيث أستطيع أن أحصل على الوفاء والحرص العالي من قبل جميع العاملين في الشركة،، هل تعتقدني أن ذلك ممكن فعلياً؟

- ..... لا أعرف بالضبط، ذلك لأنني لا أعتقد أن الناس متساوون في التفكير ولا في النوايا ولا في القدرات ولا المشاعر ولا في أي شيء، وهذا يعني ويثبت لك أنني لست شيوعية ولا حتى إشتراكية، وأنا في الحقيقة أؤمن بأن الشر والخير يولدان مع الإنسان، وليس هنالك الكثير الذي يمكنك أن تغيره في الناس، نعم قد تستطيع أن تغير بعض الأمور السطحية، ولكنك بالتأكيد لن تغير جينات البشر، ألا يقول العلماء الآن بشكل واضح أن كل صفات الإنسان وعواطفه وحتى تقبله للأمراض وللسمنة التي يعاني منها الناس في الشعوب الغنية المشبعة، أن كل ذلك يعود للجينات في خلايا الإنسان، هل تعتقد أنك بكلام أو تغيير في الإدارة تستطيع أن تغير جينات الموظفين في الشركة؟ أنا أتمنى لو أستطيع أن أغير البعض من جيناتي وأجعل من نفسي أقل شعوراً بالقلق والتفاني من أجل الآخرين...!!

وهنا يُحضِر النادل صحنين كبيرين يحوي كل منهما على ما يبدو قطعة من السمك محاطة بخليط مزين للصحن من خضروات منسقة بشكل أنيق،،

إبتسمت هي لرؤيته وضلّت تتفحصه بعينيهما، وكان "إيستيفان" يقف إلى جانب النادل لكي يقدم الشرح عن إسم وماهيّة هذا الصحن وتفاصيل أخرى عنه، كما أنه تناول قنينة النبيذ لكي يَصُبّ في كأس "بوب" الذي كان على وشك النفاد،،

أما هي فقد كان كأسها مائزلاً مملوءاً لأكثر من نصفه،، وإنتبه "بوب" إلى أنها لم تشرب منه إلا القليل وسألها عن السبب فقالت أنها لم تتعود أن تشرب شيئاً في فترة الغداء،، فهي فقط تتناول النبيذ بكميات بسيطة ومع وجبة العشاء عندما تكون في البيت،، وليس ذلك روتينياً بالنسبة لها،، أمّا هو فقد شرب ما يزيد على نصف القنينة، ومازال محتفظاً بتركيزه، وهنا قال:

• حَسَنٌ، لنرَ ماذا قد إختار لنا "إيستيفان" بعيداً عن الوصف الدقيق الذي قدمه عن هذا الصحن،، ولنتذوق ماذا يمكن أن يكون وراء هذه القطعة من "السامون" وماذا يمكن أن يكون المميز فيها،، أنا لا أذكر أنني قد تناولت سمك "السامون" في وجبة الغداء،، ربما ليس خلال السنتين أو الثلاثة الماضية،، ولكن ما الضيّر في ذلك،،

اليوم معظم ما يحدث من حولنا جديد، أو على أقل تقدير،، معظمه مما لم نألفه من قبل،، من قبل،،

وعاد ليوجه الكلام لها بينما كانت هي تستمع لتعليقه على صحن السمك وتنتبه بين ثمانية وأخرى إلى الصحن نفسه وقد أمسكت بالشوكة والسكين، وتناولت شيئاً من الخضروات المزينة مبتدأة رحلة التذوق مع صحن "السامون" الذي تتذكر أنها دائماً كان عليها أن تضع ميزانية خاصة له كلما أرادت أن تشتريه من السوق لثمنه الذي يتعدى بكثير ثمن أصناف الطعام الأخرى،، ولكنها أيضاً تعلم أن صحناً بهذا الشكل وفي مطعم مُميّز مثل هذا، هو أمر خارج حدود حساباتها هي،، وربما حتى حسابات جميع باقي الموظفين الذين يعملون معها لديه،، في شركته..... فقال "بوب":

• يبدو منظره جذاباً وشهياً، ونحن نعرف طعم "السامون" ولكني لا أعرف قبل أن أتذوقه ما الجديد المميز الذي يمكن للشيف في داخل المطبخ أن يضع فيه؟ هل تعتقدان أن هؤلاء "الطباخين الماهرين" الذين يعملون في مؤسسات الطعام الراقية، سيستطيعون أن يستمروا في تقديم المزيد من الصحن التي توفر طعماً مختلفاً؟

أم أنهم سيتوقفون يوماً ما؟

ولا تعود لديهم القدرة على إبتكار الجديد، وسيظلون يتعاملون مع الصحون هذه بطريقة تزيينها المتجددة وليس فعلاً بتركيب طعم جديد...

أجابته،، ببساطة متناهية وبلا تردد:

- لا أعرف، ومن المهم أن أقول هنا بأني جاهلة تماماً بموضوع الطبخ وقدرات الطباخين هؤلاء على القيام بإبتكار أشكال جديدة من المأكولات،، في حين أنه لا جديد في المواد المكونة لغذائنا،، فليس هناك حسب علمي من إستطاع أن يضيف لقائمة المواد التي يأكلها الناس مواداً جديدة،، صحيح أن هنالك وحسب ما أسمع شعوب تعيش في أماكن مختلفة من عالمنا هذا،، تأكل مواداً لا نأكلها نحن،، أو ربما بكلمة أصح، لانأكلها الآن في هذا العصر أو هذه السنين،، وربما سنحتاج أن نأكلها في يوم ما!!

كان يصغي لها بإهتمام بالغ وكأنه يعرفها ويتحدث لها للمرة الأولى،، فهذه المرأة وهي في متوسط العمر، قد دخلت في خدمته منذ حوالي ثماني سنوات، وعلى ما يبدو واضحاً اليوم أنه يكتشف فيها أشياء لم يكن يتصورها،، بالرغم من أن معلوماتها

عامة وهي لا تُعتبر ممن يحرصون على ثقافة عامة أكثر من الإعتيادية، وربما أن كل معلوماتها هي مما تسمعه هنا وهناك وقد يكون معظمه من مشاهدة برامج التلفزيون،، ربما حتى البرامج التي لا تقصد تثقيف الناس وإنما هي في الغالب تعتبر برامج إجتماعية ترفيحية أو من تلك التي تعطي معلومات عامة وبشكل بسيط،،

لكن يبدو أن الإنسان إذا ما كان لديه عقل يستخدمه،، فإنه سيستطيع أن يُحلل ويُكوّن تركيبة مقنعة أو منطقية لا يستطيع أحد أن يناقضها أو أن يجادلها ويدحضها،، فهي عندما تقول أننا من الممكن في يوم من الأيام أن نصل ربما لحد إضطرارنا أن نأكل ما لا نأكله الآن،، أليس هذا صحيحاً،، وعلى أقل تقدير نحن الآن نأكل مأكولات شعوب أخرى ربما لم نكن نفكر مطلقاً في أنها يمكن أكلها في بدايات القرن الماضي أو قبله بقليل،،

ألسنا نأكل الآن أشياءً غريبة في مطاعم السوشي اليابانية الراقية؟

تلك المأكولات التي تحتوي في الكثير من الأحيان مواداً مأخوذة من حيوانات لم نكن نأكلها من قبل،،

وربما لم نكن نتصور أننا سنأكلها يوماً ما...،،

إنه الإلتقاء الحضاري بالحضارات الأخرى وما يجلبه معه،،

وهنا جاءه صوتها موجهة سؤالها له:

● هل صحيح ماقد سمعت،، أنه في سنة،، لا أعلم أي سنة ولكنها ليست بعيدة، والتي فيها سقطت طائرة ركاب في منطقة مغمورة بالثلج، إضطر الركاب الناجون من الموت أن يأكلوا لحم بعض الركاب الذين ماتوا لكي يبقوا على قيد الحياة،،

هل قد حصل هذا حقيقة أم أنه قصة خيالية أو مبالغ بها ومفبركة من قبل الإعلام؟

أجابها:

● نعم،، حدث هذا فعلاً،، ولكني أيضاً لا أعرف متى ولا أين، لكنه قد ثبت في ذهني أنه واقعة حصلت فعلاً، ربما نستطيع أن نعرف عنها أكثر عن طريق (google)، ولكنني شخصياً أودّ أن أحتفظ في نفسي وعقلي بصورة أكثر كرامة للإنسان،،

فموضوع كهذا يبقى موضوعاً كريهاً مقرفاً، ولا يمكن أن أتصور شخصاً يستمتع بقراءة حدث مأساوي مثل هذا،، فقد تعودنا على القراءة عن الحروب والقتل في التاريخ وفي الحاضر وعن قتل الملايين من البشر،، ولكن ليس عن بشر يأكلون لحم بشر آخرين،،

لقد إعتدنا على مايببدو على القراءة أو الإستماع لأخبار  
القتل سواء القتل في الجرائم العادية التي تحدث هنا  
وهناك، أو القتل الجماعي في الحروب وهذا على مايببدو  
بسبب أننا قد فتحنا أعيننا ونحن نعلم:

أن الحروب حقيقة،،

وأن جرائم القتل حقيقة،،

والقتل هو ما يستوجب الخوف،،

وقد أوجدنا الكثير من الخوف في نفس الإنسان،،

خوف مما قد يحدث في حياتنا،،

وربما خوف أكبر مما قد يحدث بعد هذه الحياة،!

وهذا مانراه في نفس الطفل عندما يخاف من الأغراب

رغم أنهم لا يريدون أذى به،،

يخاف منهم لمجرد أنه لم يتعود على رؤيتهم،،

وهو لا يخاف من أبويه وأفراد عائلته الذين إعتاد

عليهم،،

أعتقد أن ذلك يشبه إلى حد بعيد شعور وتصرف

الحيوان،،

فالخوف على مايببدو أمر غريزي لدى الإنسان والحيوان

معاً!

لكننا نحن الذين أضفنا له خوفاً دائماً من المستقبل غير

المضمون،،

وخوفاً أكبر بكثير مما يمكن أن يحدث بعد نهاية هذه الحياة،،

وهذا ما لا يفكر به الحيوان ولا يحسب له حساباً.....  
هل تعلمين أن الإنسان ربما يكون المخلوق الوحيد في العالم الذي يقتل أبناء جنسه لأسباب ودوافع كثيرة لا علاقة لها بوجوده أو ببقائه حياً،،

كما أنها قد تكون أسباباً سخيفة في معظم الأحيان،،  
ولا علاقة لها بإرتكابه ذنباً أو جرماً معيناً،،

وفي الكثير من العصور التاريخية في مختلف بلدان العالم، وبلداننا الغربية كانت منها، وما زالت تحدث لحد الآن في بلدان من حولنا عندما يقتل الإنسان إنساناً آخر بسبب معتقده أو أفكاره،،

وهناك دول كثيرة تضع قوانيناً لمعاقبة من يختلف مع مبادئ الدولة من مواطنيها،،

والكثير منها عقوبات بالقتل وتعلن ذلك بدون تردد،،  
وهذه الدول ما تزال أعضاء في منظمة الأمم المتحدة التي يُفترض فيها أنها ترعى مبادئ الحقوق الإنسانية الأساسية ومن أولها حقوقه في التفكير والمعتقدات!!

سكت للحظات ثم عاد يتابع بسخرية وتهكم:

● ما هذا الذي قد توصلت إليه؟؟

يبدو أنني قد إسترسلت في إستنتاجاتي اليوم، وأعتقد أن هذا يحدث معي لأول مرة، وهذا أيضاً يؤكد أن هذا اليوم هو يوم يختلف عن غيره من الأيام، لكنك لم تخبريني ماذا يتصور "جون" أنه سيحصل للعالم فيما لو نفذ فعلاً هو والآخرين ما يعتقدونه أنه من الأفضل لهم أن ينهوا حياتهم بهذا الإنتحار الجماعي؟ وقبل ذلك لنعد إلى أساس إعتقاده، فهل يؤمن "جون" بحياة أخرى يمكن أن تكون له أفضل من هذه الحياة؟

قاطعته هي متسائلة،، وكأنها لم تتلق،، أو تسمع،، أو ربما لم تهتم لسؤاله، فسألته:

• هل تعتقد أنه من السهل أن يأكل الناس لحم أناس آخرين؟!

قد سمعت أن البعض من القبائل غير المتحضرة في أفريقيا مازالوا يفعلون ذلك، كذلك أعرف أن بعض الشعوب في آسيا يأكلون القروود والكلاب! وهذا أمر رغم أنني أعرف أنه فعلاً يحصل لحد الآن، إلا أنني لا أكاد أصدق أن أناساً يمكن أن يأكلوا لحم الكلب الذي تعودنا أن نعتبره صديقاً وانياً لنا، ولا القروود

التي توحى بأنها شكل من أشكال الإنسان سواء إقتنعنا  
بنظرية التطور أم لم نفتنع....

تَصَوّر "بوب" أنها تتهرب من الجواب على سؤاله لها عن  
"جون"،، ولذا فقد أّجل موضوع "جون" ليجيبها قائلاً:

• أعتقد أنها مسألة مرتبطة بالوضع الذي يعيشه الإنسان،،  
والزمان والمكان كذلك لهما دور كبير،،  
فحن لو ولدنا في بلد إعتاد أهله أكل لحم البشر،، لكننا  
سنفعل نفس الشيء،،

ولو ولدنا في بلدان تأكل القرده والكلاب أيضاً كنا سنفعل  
نفس الشيء،،

نحن على ما يبدو دائماً نتبع من سبقونا، ونادراً ما يكون  
فيينا من يشدّ عن هذه القاعدة ويأتي بالجديد الذي لم يرثه  
من والديه،،

ويؤمن به ويحاول أن يجعل الآخرين يؤمنون به،،  
الناس دوماً يقلدون بعضهم بعضاً،،

وقليل منهم من يستطيعون إبتكار الجديد،، ومن هنا  
يُعجّب الناس بكل جديد،، حتى لو لم يكن يستحق  
التقدير،،

وأبسط مثال يخطر في بالي الآن ويمكنني أن أسوقه هنا  
هو على سبيل المثال:

"ألفيس بريسلي" و"مايكل جاكسن"،!  
فهما بإعتقادي مدرستان للغناء والرقص لم يسبقهما إلى  
طريقتيهما أحد،  
والفرق الزمني بينهما حوالي ربع قرن،  
وكل من جاء بعدهما محاولاً تقليد أي منهما لم يفلح في  
تقديم شيء مميز ربما يستحق المشاهدة!!  
هذا رأيي الشخصي وقد يختلف معي الآخرون.....

قال هذا الكلام بتأنٍ وهدوء وهو يدرك أنه في هذا الوقت أصبح  
فجأة قادراً على التحدث بمنطق وفلسفة،  
أو لنقل معرفة لم يكن قد عهدا بنفسه،  
فهو كان خلاصة لتجارب أعمال وتجارة وربح وخسارة وعلاقة  
قوية مع كل أمر له علاقة بالمال وما يحدث في عالم التجارة  
والسوق المحلية والعالمية،  
ولا يذكر أنه قد سبق له أن إقتطع من وقته المخصص معظمه  
للعمل إلا القليل لكي يسترخي ويرتاح فيه،  
فحياته كانت ركض ومتابعة وصراع من أجل بناء عالمه  
وتجارته وشركته الرئيسة هذه وما قد تبعها من فروع تعمل  
لصالحه،  
اليوم فقط قد إكتشف هذا الأمر عن نفسه،

وقد إكتشف كذلك أن "كريستين" ليست فقط سيكريتيرة شخصية تعتني بأمور مكتبه وإرتباطات العمل لديه، وإنما هي أيضاً شخصية لها وجه آخر فيه الكثير من التفاصيل وهي خزين لما يمكن أن يعتبره معلومات، أو بعبارة أصح أحاسيس، لم يكن يتوقع أنها مخزونة لديها، هذه "كريستين" المشغولة تماماً بحياة فيها بعض الصعوبات والكثير من الإلتزامات،،

فماذا عن الموظفين الباقين الذين يعملون لديه والذين يتحدث لمعظمهم ربما يومياً كل على حدة أو أثناء فترات الراحة القصيرة عندما يتجمعون في الصالة الرئيسية للمكتب لمناقشة أمور العمل،،

إنه لا يتذكر يوماً أنه خرج عن نطاق الحديث عن العمل مع موظفيه،، ربما فقط في بعض الأحيان عندما كانت أحداث مهمة مثل إستجواب الرئيس "بيل كلينتن" عن علاقته مع المتدربة في البيت الأبيض "مونيكا"،،

وما حدث في (11 سبتمبر)،،

وغزو أفغانستان والعراق،،

والأكثر من هذه كلها حدوثاً هي الأحداث الرياضية التي تُعتبر من أهم الأحداث (الإجتماعية) التي يتحدث عنها معظم الناس في المجتمع،،

ولذا فقد رأى أنه من الضروري في الأيام القادمة أن يقطع وقتاً للتطرق إلى العديد من الأمور التي تحدث بها اليوم مع "كريستين"، ليتحدث بها مع موظفيه الآخرين، إن ذلك بالتأكيد سيجعله أكثر قرباً منهم، والأهم من هذا كله سيتعرف أكثر عليهم،،

وربما سيجد لديهم الكثير من الجديد الذي لم يعرفه،، وقد يستطيع التعرف على مَنْ منهم يمكن أن يضمر حقداً عليه! رغم أن ذلك لن يكون واضحاً بهذه السهولة،، ذلك أنه قد إستغرق حديثاً طويلاً مع "كريستين" وكان فيه الكثير من الصراحة والإنفتاح،،

ولا يستطيع أن يجزم لحد الآن ماهو موقفها منه،، فكم سيستغرق من وقت لكي يعرف موقف الموظفين الذين سيكونون بالتأكيد أكثر حذراً من "كريستين"،؟ ولكن لابد من أن تكون البداية من نقطة ما،، اليوم أو غداً أو بعد غد،،

لا بد من البداية لكي يتعرف عليهم بشكل أفضل،، ربما فيهم من ينسجم معه فكرياً ويستطيع من خلاله فهم ما يدور في ذلك الجانب من العالم الذي تركه منذ ما يزيد عن ربع قرن، منذ أن إستطاع بلوغ هذا النجاح في عمله وتجارته الذي هيا له حياة مرفهة،،

مما أبعده عن مايزيد عن 90% من الناس الذين يعيشون مختلف وجوه النقص والحاجة والمشكلة الإقتصادية، ولم يعد يتعامل مباشرة مع مَنْ هم من هذه الطبقات أو الطبقات الدنيا...

إن شعوراً يراوده بين فترة وأخرى أنه مايزال مرتبطاً بذلك العالم كما هو الحال عندما كان هو نفسه أحد أبناء تلك الطبقات الدنيا،

ولكن ما كان ينقصه في ذلك الزمن هو الإنقطاع الفعلي عن الإتصال بهم،

فقد كان إتصاله بهم قائماً لحاجته لهم وعيشه معهم،

الإتصال بمن مايزال يعيش في أحضان تلك الطبقات،

كان إنقطاعه عن تلك الطبقات الدنيا لكي يُصبح من أبناء الطبقات العليا المهيمنة في الحياة العامة،،

كان هنالك الكثير الذي يدور في فكره بين ما يريد أن يبلغه في عمله من تطوير وتحسين وبين ما يريد أن يبلغه كإنسان يؤمن بأنه لابد أن يكون إيجابياً مع كل الطبقات،،

فهو - يعتبر نفسه- أنه لم يكن يوماً من الأشخاص الذين يحملون الكثير من الأنانية في نفوسهم،،،!

وليس ممن لا يهتمهم أن يدوسوا على رؤوس ورقاب الآخرين للوصول إلى مآربهم،،!

أو على الأغلب، أن هذا هو ما كان يردده عن نفسه أمام الآخرين،،،

وربما حتى أمام نفسه!!

وهنا إنتبه بأنه قد سرّح بعيداً مرة أخرى في أفكاره، فعاد ليسألها عن "جون":

- لم تقولي لي شيئاً عن "جون"! ماذا ينتظر من تنفيذه؟  
.....أسف أن أقول هذا إذ أنني مازلت لا أعتقد أنه جاد  
فعالاً في تفكيره بالانتحار...  
رغم أنك تعتقدين أنه يعني ما قاله لك،،

ظلت صامته للحظات قبل أن تبدأ إجابتها:

- أنا لم أتهرب من الإجابة على سؤالك عن "جون" عندما سألتني فيما إذا كان يؤمن بحياة أخرى أو لا يؤمن،،  
أبداً لم أتهرب من الإجابة،، لكنك فاجأتني لأنك كشفت لي عن أمر أنا لا أعرفه فعلاً عن "جون"!  
نعم "جون" زوجي الذي أرتبط به وأعيش معه منذ أكثر من عشر سنوات،،  
هل يمكن أن يحدث هذا؟؟  
وهل هو أمر طبيعي،، وأنا التي سألتك:  
"هل تؤمن بوجود (الرب)؟؟"

هل يمكن أن تشغلنا صعوبات الحياة وهموم الأطفال عن أن نبحث عما يجب أن نعرفه عن بعضنا الآخر؟؟ هل يمكن أني لا أعرف ماذا في فكره عن هذا الأمر الذي نتحدث الأخبار يومياً عن أحداث مختلفة لها علاقة به؟

أو ربما أنها أحداث مبنية على إيمان الكثيرين بهذا الأمر،، إيمان يمكن أن نصفه بأنه يقيني،، يجعلهم،، أو على الأقل أنه على ما يبدو يجعلهم يتصرفون وفقه وحسب ما يمليه عليهم،،

أنت محق في سؤالك،، وعلي اليوم أن أعرف منه تفصيلات أكثر عما يؤمن به،،،

فهو مثلما جاءني بإعتقاد وإيمان بمثل هذه "الدعوة الغيبية" علي أن أطلب منه إيضاحات أكثر عنها وعن أشياء أخرى،،

فكيف يمكن للإنسان أن يتنازل عن شيء يمتلكه الآن أملاً في شيء قد يكون أبعد من الخيال!

أليس هنالك إحتمال كبير أن يكون النجاح من نصيب طفلينا، لو سلّمنا بأننا أنا وهو قد فشلنا في تحقيق ما

نرغب في تحقيقه في حياتنا!!

هل يحق لنا أن نسبق المستقبل بنبوءة غيبية وغبية بأنهم لن يكونوا سعداء في حياتهم؟؟

أياً كانت أسس هذه السعادة،،  
فكيف نحكم عليهم بالنهاية لمجرد فكرة سخيفة نحن  
إقتنعنا بها في ظرف معين قد لا يكون له أساس ولا  
يمكن له أن يستمر؟  
لا أعلم لماذا لم أرّد عليه بهذا الردّ، وأطلب منه أن  
يعطيني ما يقنعني فعلاً بعدم جدوى الحياة، لمجرد أنها  
لا تعني شيئاً له في هذا الوقت،،،؟؟  
وذلك لأنه كما تعلم عاطل عن العمل منذ مايزيد عن  
سنة،،

ولم يعد يأمل بأنه سيحصل على عمل منذ أن تخلت  
الشركة عن المئات من العمال الماهرين مثله، في العديد  
من مصانعها لمواجهة أزمته المالية،،  
نعم أنا عليّ أن أكون أكثر حزمًا في هذا الموضوع ولا  
يمكن أن أنساق وراء طريقة مريضة بالتفكير!  
يجب أن أحارب من أجل طفليّ، ومن أجله هو أيضاً فهو  
بحاجة لمساعدتي أكثر من أي وقت مضى،،

هنا قاطعها بنبرة يتضح فيها أنه قد حقق قدراً من الإرتياح بعدما  
قالته،، ليقول لها:

- هاهي إبنتي الثانية،،، "كريستين"، إبنتي الكبيرة،،، قد  
إستطاعت أن تسترجع شجاعته وقوتها،،

إنتبهت "كريستين" لقوله (إبنتي)!! وإتضح ذلك عليها وإعتدلت في جلستها....

ذلك أنها تسمعها منه للمرة الأولى، وبصورة مفاجئة، وهي تعلم أن إبنته الحقيقية "جوزيفين" تصغرها بثلاث سنوات، لاحظ هو ذلك عليها،، فكان تعقيبها:

- نعم،، أنا أعتبرك مثل إبنتي "جوزيفين"،،  
فأنا أراك أكثر مما أراها،  
وأنت لا تعترضين عليّ مثلما تعترض هي عليّ وتقدم الحجب المضادة لي كلما توجهت لها بنصيحة،  
ولا يبدو أنه يعجبها الكثير مما أفعله وتفعله أمها أيضاً...،،  
وأنا أعتبر ذلك من مواصفات جيلكم، خصوصاً عندما تكون الحياة المرفهة مهيأة لهذا الجيل من دون جهد،  
والذي غالباً ما تتسبب هذه الحياة المرفهة في التقليل من الرغبة في التحدي والمواجهة لهذه الحياة،  
وربما تهيب وتُنمّي حتى الضعف التام أمام تحدياتها،،
- لا أعتقد أنه من الواقع أن تطلب منها أن تتطوع هي بنفسها لمواجهة الصعاب في الحياة ومن دون أن تكون هنالك حاجة لذلك،،

هنالك الكثيرين غيرها ممن عليهم القيام بمهمة التحدي،  
وعندها يكون نجاحهم قريناً بتحقيق شيء،،  
أما بالنسبة لـ "جوزيفين"، وحتى "جوناثان"، فما قيمة  
نجاحهم في التحدي؟؟  
أنا قد أكون مخطئة،،

ولكنني أعرف أن العبرة بما سيخلقه النجاح في التحدي،  
هي التغيير الذي سيطراً على حياة الشخص عند نجاحه  
في التحدي،،

وبدون هذا التغيير لن يكون هنالك معنى للنجاح!!  
● لا،، بالتأكيد لا،، أنا لا أتفق معك كلية،، فالنجاح في  
التحديات له قيمة كبيرة في تسوية نفس الإنسان وتقوية  
عزيمته،، وشعوره بالفخر والإعتزاز بنفسه،،  
فقاطعته بهدوء ونبرة خافتة تنبع من نفس متألّمة،،،، قائلة:

● وماذا عندما يكون الفشل نتيجة التحدي!!؟

\*\*\*\*\*

"بوب"

"وماذا عندما يكون الفشل نتيجة التحدي؟؟"

في طريق عودته للبيت، ظل "بوب" يفكر بعمق بالجملة التي أطلقها "كريستين":

"وماذا عندما يكون الفشل نتيجة التحدي،؟؟"

لم يعرف لحد هذه اللحظة كيف يمسك بهذه الجملة، ومن أين يبدأ في متابعتها وتحليلها؟

لقد أسكنته لدرجة أنه لم يعرف رداً على ما قالتها،،،  
نعم فعلاً وحقاً ما تقوله:

"وماذا عندما يكون الفشل نتيجة التحدي،؟؟"

لكن،، هل يمكن أن يكون قد نسي كم كان يعاني هو نفسه من الخوف كلما أقدم على تجربة جديدة كان ينوي الدخول فيها؟

نعم لقد تغلب على الكثير من شعوره هذا الآن بعدما أصبح قوياً يتحدى الأقوياء ويتعامل معهم معاملة النذّ للنذّ،، لكنه بالتأكيد يتذكر تماماً كيف كان شعوره وخوفه في تلك السنين عندما كان يدخن السيجارة تلو السيجارة كلما مرّ بفترة صعبة،،

عندما كان يستيقظ في منتصف الليل ولا يستطيع العودة للنوم،، عندما كان يسعل كثيراً حتى تجحظ عيناه، وتكادان تخرجان من محجريهما،،

ويكاد يخنق من كثرة ما أدخل في صدره من دخان كثيف،، ويزداد تنفسه صعوبة ويتوسل الهواء أن يدخل صدره،، وكثيراً ما تصور أنه لن يعيش لصباح اليوم التالي!

كيف يمكن أن ينسى تلك الأيام، إنها هي وغيرها من الأحداث وصفاته الشخصية النابعة من جيناته، هي التي جعلته ومازالت تجعله يفكر في الآخرين،،

ويقول دوماً هنا وهناك أنه يتعاطف مع الضعفاء منهم،! ربما ليس كل الآخرين ولكن على أقل تقدير أولئك القريبين منه في حياته وفي عمله،،،،

لقد كانت أياماً لو حاول أن يحصيها ويعود بذاكرته لمعايشتها  
لكانت كافية لأن تحيل أيامه الهائلة الحالية إلى كوابيس من  
جديد!

يا إلهي،، كم من الأشياء علينا أن نبقي نعيش معها ومع مساوئها  
ولا نستطيع أن نتغلب على الأسى والألم والذكريات السوداء  
التي تجسدها أمامنا، فتجعلنا لا نستطيع أن نُعيد تقييم النفس  
بمقياس أكثر حيادياً، لكي نخرج بنتيجة أننا قد إقترنا الكثير من  
الأخطاء بحق أنفسنا وبحق الآخرين، ربما أكثر بكثير،  
ياإلهي،، هل يمكن أن يكون هنالك شخص مقتنع بما لديه،،  
مقتنع بماضيه وبحاضره،،

وهل يمكن أن يكون هنالك من هو مطمئن لمستقبله،،  
كم هي صعبة،، بل بالغة الصعوبة أن ترضى النفوس عن  
حاملها هذه،، النفوس!!

بدأ يسترجع بذاكرته وهو يقود سيارته، كم من الأحداث التي  
مرّت عليه عندما كان فيها بحاجة إلى أن يتخلى عن الكثير من  
قيمه ومبادئه!!

وكان عليه أن يسلك السلوك الذي يعتبره اليوم مُشيناً بعد أن  
أصبح يمتلك القوة التي تؤهله لأن يختار ما يرضيه من سلوك،،  
وهو غير مضطر اليوم لأن يتنازل عن قيمه ومبادئه التي يدّعي  
أنه يؤمن بها،،

نعم إنه إِدعاء أنه يؤمن بها،،  
ولا يمكن أن يكون أكثر من إِدعاء،،  
إِدعاء لم يصمد في السابق من السنوات،،  
سنوات الضعف والحاجة،،  
واليوم عندما توفرت له القوة أصبح بإمكانه أن يترجم الإِدعاء  
إلى قيمة سلوكية وأخلاقية يمكنه أن يواجه الآخرين بها  
باعتبارها جزءاً من صفاته الملازمة التي لا تنفصل عنه،،  
وبإمكانه أن يدّعي أيضاً أنها جزء من جيناته!!  
تُرى إلى أي مدى يمكن لسلوكه هذا أن يصمد الآن،، أمام  
مُغريات أقوى،، ومن نوع آخر؟  
مُغريات أكثر قدرة في الدعوة للتخلي عن المبادئ،،  
ثم خلعتها وإزاحتها جانباً لكي تفسح مجالاً مريحاً وأكبر للعب  
على أوتار أكثر إغراءً وأدعى وأوجب للإهتمام!  
أوتار السطوة والقوة،،  
أوتار الدنيا التي نريد كل ما فيها،،  
وليس فقط أجزاءً متناثرة منها،، تتناثر هنا وهناك!

حاول بعد ذلك أن يُبعد تلك الذكريات التي كانت قد توقفت عن  
غزو ذاكرته منذ سنوات،،  
منذ أن إنسلخ عن عالم الفقراء وعالم الطبقة المتوسطة،،  
الطبقة العاملة فعلياً،،

حاول أن يركز على الطريق أمامه وهو يقود سيارته في طريقه للبيت،، هذا الطريق الذي أصبح مألوفاً جداً له بعد أن إستمر يسلكه يومياً لأكثر من ثماني سنوات منذ أن إنتقل بمكتبه إلى موقعه في البناية التي يقع فيها الآن،،

حاول أن يُشغل نفسه بما يراه أمامه،، وقد بدت الشوارع مزدحمة أكثر من الصباح،،

لكنه هذه المرة غزت فكره البعض من تلميحات "كريستين" التي تحدثت فيها بإشارات لمعانة الناس الذين يقومون على التحريك الفعلي لكل ما يدور في العالم من حولنا من خدمات يحتاج لها الجميع،،

فدخل هذه المرة في معمعة التفكير مرّة أخرى في هؤلاء الناس الذين ينوون الإنتحار الجماعي،، نكايه بمن لم يشعروا بهم وبتضحياتهم وحاجاتهم من مؤسسي وأبناء الطبقة المستفيدة والمتمتعة في ظلّ هذه الخدمات،،

أليس صحيحاً القول،، أن الدنيا فعلاً تخلو من العدالة؟؟

\*\*\*\*\*

## "كريستين" و "جون"

### لقاء الاختلاف

توجهت "كريستين" لبيتها، بعد أن إفترقت عن "بوب" تاركة معه تساؤلها عما يمكن أن يكون عليه حال من يتحدّى ظروفه الصعبة في حياته.....  
(وماذا عن الفشل؟)،،

ولم تكن راضية عن الكثير مما قالته أثناء نقاشها المفتوح مع "بوب" ولأول مرة، فقد إعتبرت البعض منه أنه لم يكن من المناسب قوله، إذ أنه ربما أعطى الإنطباع بأن لديها ما تخفيه من مشاعر حسد، نحوه،، في حين أنها خلال السنوات الثمان التي قضتها في علاقتها معه من خلال عملها مديرة لمكتبه،، لم تكن غير حذرة أشد الحذر من أن يبدو عليها أقل قدر مما يمكن

أن يعطيه هذا الإنطباع،، فهي تعلم أنها كانت بالنسبة له الموظفة المتفانية في عملها لخدمته وخدمة مصالح الشركة،، وهي تعرف أن هذا ما يسعى ويرتاح له كل أرباب العمل، وأنهم يبذلون جهداً لإيجاده لدى من يعملون لديهم، وأنه من المعتاد أنهم لا يذهبون في علاقاتهم مع موظفيهم بعيداً لحد البحث لمعرفة ما يزعجهم وما يسبب لهم المشكلات في حياتهم الخاصة،، لكي لا يطلبون منهم المساعدة في حلّها، غير أنها لا بد أن تكون منصفة بحق "بوب" فقد بدى عليه أنه يهتم فعلاً بموضوع هذه الدعوة (للإنتحار الجماعي) قبل أن يعرف أن "جون" مؤيد لها وينوي المشاركة فيها،، وهو ما إستغربت له ومازالت تستغرب شدة إهتمامه بهذه الدعوة!! وهذا يعني أن إهتمامه بموضوع "جون" ليس فقط إرضاء لمشاعرها،، ذلك أنه من المتوقع أن يكون موقفه نفسه لو كان أحد موظفيه الآخرين حاله مثل "جون" مقتنع بهذه الفكرة السخيفة المخيفة،، ومن هنا فإن نقاشها مع "بوب" قد كشف لها شيئاً لم تكن تعرفه عن مدى مشاعر "بوب" الإنسانية التي كانت لا تتوقع أن أرباب العمل، خصوصاً الكبار منهم يمكن أن يتحلّوا بها!! كذلك فقد عادت بينها وبين نفسها لتقييم ما قالته وتحدثت به خلال النقاش،، لتتوصل إلى أنها كانت تتصف بالشجاعة التي لطالما كانت تعتقد أنها تفتقر لها،،

وكانت تتصور نفسها أنها من صنف الناس المسالمين الذين لا

يقوون على قول ما يشعرون وما يؤمنون به،،  
أولئك الناس الذين يتلقون دائماً التعليمات والأوامر، وفي  
الكثير من الأحيان ممن هم أعلى منهم،،  
لكنها اليوم إكتشفت في نفسها ما لم تكن تعرفه من قبل!!

إستمعت في السيارة لمقتطفات من آخر أخبار ما حدث و يحدث  
حول هذه الدعوة (للإنتحار)،، وقد كان الكثير من هذه الأحاديث  
عبارة عن تفسيرات لمحللين يوجّهون الموضوع إلى وجهات لا  
يمكن الجمع بين بعضها البعض،، ولا تسبب غير تشويش  
الأفكار وعدم معرفة الحقيقة التي قد تتضح فيما بعد،، رغم أن  
الكثير من الأحداث الكبيرة تحدث وتستمر لفترات متباينة، ومن  
ثم تذهب إلى زوايا النسيان قبل أن يعرف عموم الناس حقيقتها،  
ويعود الناس من جديد ليعيشوا حياتهم وكأن شيئاً لم يحدث...

أغلقت "كريستين" زرّ راديو السيارة الذي لم يكن صوته  
واضحاً ولا مريحاً للسمع على أي حال،، غير أن ما عرفته  
من الأخبار أن الإجتماع أو اللقاء العام الذي كان من المقرر أن  
يُعقد اليوم في أكبر منتزه أو حديقة في المدينة قد إنفضّ بسرعة  
على أن يتم عقده في وقت آخر لم يتم تحديده بشكل مؤكد،، لكنه  
في الغالب سيكون يوم غد،، ويبدو أن هنالك ثقة أكبر هذه المرة  
في إقامة اللقاء،، ولم تفهم السبب في التأجيل،، لأن كل المعلّقين

قد أدلوا بدلاءهم وتكهناتهم، ثم تضاربت الآراء مع بعضها،  
والنتيجة كانت أنه لم يحصل أحد المستمعين من كل هذه الدلاء  
على شربة ماء تروييه في معلومة موثوقة!!

وطبعاً كان جميع هؤلاء المعلقين هم أنفسهم الذين يتولون التعليق  
على كل حدث وعلى كل ما يحصل،،  
ولا يستطيع أحد أن يعرف كم أنهم فعلاً مؤهلون لتحليل  
الأحداث،،

أو في الأساس كم يعرفون عن أسس هذه الأحداث التي ينبرون  
لتغطيتها،،

أو تدفعهم لها القنوات التي يعملون فيها لتغطيتها،،  
كذلك لا يعلم أحد كم هو حجم المعلومات المضللة والمقصودة  
التضليل التي يقومون بنقلها للمستمعين والمشاهدين؟؟ بقصد أو  
بغير قصد، عن وعي وإدراك أو نتيجة جهل ولا مبالاة!  
كذلك لا يعرف أحد كم ستتغير الآراء والتحليلات من ساعة  
لساعة؟

وهذا ما يحدث في ساحات المواجهة بين الأحداث وأجهزة  
الإعلام التي تلعب في كثير من الأحيان أدواراً مشبوهة  
ولأغراض تبقى دفيئة وغير معلنة لفترات قد تمتد طويلاً!!

وصلت "كريستين" للبيت،، وقد فضلت أن تترك طفلها مع  
أمها لأنها تريد أن تستغل الوقت في البيت للحديث مع "جون"

حول هذا الموضوع ومن دون أن يكون معهما إبنتها وإبنها موجودين في البيت لكي لا يسمعا ما يدور من حديث، مما يمكن أن يفهما منه شيئاً لا يناسب عمريهما!

عند باب المنزل، عندما إحتاجت أن تفتح الباب بالمفتاح، علمت أن "جون" لم يعد بعد للبيت، وتوقعت أنه سيتأخر لأنه سيعود بإستخدامه المواصلات العامة، ذلك لأن السيارة الوحيدة التي يمتلكانها كانت معها، وأنه في الغالب قد يكون مع البعض من معارفه ممن أوحوا له بهذه الفكرة (الغيبية)،، فكرة الإنتحار!!

عند دخولها للبيت، كانت الأفكار ماتزال تتضارب في رأسها بين هذه الدعوة التي طرقت أبواب فكرها وحياتها وأصبح لزاماً عليها أن تتابعها لأنها مطلوب منها أن تُخرج نفسها وأبناءها وحتى "جون" زوجها نفسه منها، وبين ما دار من حديث في مواضيع تتحدث بها لأول مرّة مع ربّ عملها "بوب"،،

جلست منهكة القوى مجهّدة الأعصاب،، لم تعرف في البداية ماذا تفعل لكي تُشغل نفسها وتبتعد بتفكيرها نسبياً قبل أن يعود "جون" للبيت،، فرأت أن تقوم بإعداد الطعام مستخدمة ما موجود لديها في الثلاجة من مواد يمكنها بها تحضير وجبة تكفي لها وله عند مجيئه،، وسيكون من المناسب الحديث عن

هذا الموضوع أثناء تناول هذه الوجبة مهما كانت، وهي تعرف أن أمها ستتكفل بإطعام "سوزان" و "تومي"، ولن تحتاج هي للتفكير والإنشغال بذلك.

فتحت الثلاجة لتخرج ما موجود فيها مما تحتاجه لعمل سلطة خضروات وقطع من اللحم الجاهز للتحضير والذي يحتاج فقط لفترة قصيرة من التسخين لكي يصبح جاهزاً للأكل،، شعرت بالصمت يطبق على البيت لعدم وجود أحد معها، خصوصاً طفلاها اللذان كانا في العادة يملآن البيت صخباً طفولياً إعتادت عليه، ولكي تُنهي حالة الصمت، فتحت جهاز التلفزيون لكي تستمع لما يمكن أن يدور في الخارج من أحداث وأخبار حول موضوع (المنتحرين)!!

وكانت القناة التلفزيونية التي تختارها دوماً لسماع الأخبار تقدم لقاءً لمجموعة من المعلقين على الحدث، ومن وجهات نظر ومنظمات مختلفة، وفيهم من يمثلون الأديان المختلفة، من الذين يستضيفونهم دوماً للتعرف على وجهة نظر الأديان التي ينتمون إليها في الحدث المعين،،

فكان الإتفاق واضحاً بين ممثلي هذه الأديان،، ولا غرابة في ذلك فمن السهل جداً أن تتفق مع الآخرين،، عندما يكون الجميع حريصين على الإحتفاظ بميزة،، مهمة،، النفاق في علاقاتهم مع بعضهم!!

فكان الإتفاق التام سيد الموقف من هذه الدعوة،،، وهو إعتبارها أنها سلوك غير مبرر من قبل الدين ولا تُقرّه تعاليم أي من الأديان،، وأن السبب الممكن والمحتمل وراء هذه الدعوة لا يمكن أن يُمْتّ بصلّةٍ للدين وأن الدين (ربما أيّ دين) يمكنه أن يقدم الحلّ لأيّ مشكلة قد يواجهها هؤلاء،

أيّ مشكلة إستدعتهم للتفكير بالإنتحار! كما أنهم إتفقوا وبأقصى وضوح للنفاق الذي حرصوا عليه جميعهم وإستطاعوا به أن يتجاوزوا الخلافات بينهم،،، لقد إتفقوا جميعهم على أن الأديان وممثليها الذين أطلق عليهم "بوب" (وكلاء الربّ) بإمكانهم وبكل كفاءة ومقدرة متناهية أن يعيدوا الأمور إلى نصابها ووضعها المعتاد،!

وإتفقوا على أنهم بإمكانهم كذلك أن يعيدوا السعادة والنظرة الإيجابية للحياة لدى هؤلاء اليائسين،!

وهكذا إستمروا في تقديم عروضهم اللاهوتية النظرية وبصورة غاية في الودية والرحمة والمحبة،،، والنفاق!!

متناسين أنهم هم فيما بينهم متعارضون مع بعضهم، ومتحاربون فيما بينهم ومنذ قرون طويلة،،،

وليس هنالك ما يشير إلى أنهم سيتغيرون سلوكياً وتقيماً لبعضهم البعض يوماً ما، أو أن أحدهم سيعترف بوجود الآخر، ويُقرّ له بأحقية العيش والإحتفاظ بوجهة نظره الدينية،،،

فكلٌ منهم يعتبر الآخر ذاهبٌ إلى الجحيم لا محالة!!  
وكل منهم في الحقيقة إنما يمثل حالة من الفاشية والشمولية التي  
تنتظر الوقت المناسب لكي تبسط عضلاتها،  
ولتستعيد ممارستها التاريخية التي سوّدت الكثير من صفحات  
التاريخ!!

لقد تداعت إلى سمعها وأمام عينيها أحاديث هؤلاء عندما كانت  
تقطع الخضروات لتحضير السلطة،  
وإنتهت إلى أنها هذه المرّة ولأول مرّة تنتبه إلى الزيف  
والخدعة في حديث هؤلاء جميعهم،، (وكلاء الرب)،،  
إنتهت إلى الزيف في حديثهم وحججهم، بعد أن أصبح  
الموضوع له علاقة ماسّة بها من خلال احتمال إنتماء زوجها  
"جون" لجماعة المنتحرين وإقتناعه بما هم مقدمين عليه،،،  
ربما لو أنها لم تكن معنية بهذه الدعوة، كانت ستمرّ على هذه  
المقابلة واللقاء التلفزيوني مرور الكرام، كما كانت حالتها عندما  
كانت أحداث كثيرة مهمة تحدث من قبل،، لكنها هذه المرة بدأت  
تنتبه إلى مثل هذه الأمور،،

كما أنها قد إنتهت إلى أمر آخر، وهو أن الآخرين المشاركين  
في هذا اللقاء ممن يُعتبرون من المحليين والخبراء والصحفيين  
والسياسيين، ممن تجمعهم صفة أو تسمية (العلمانيين)،،،  
إنتهت إلى أن معظمهم ينافقون كثيراً وبيالغون في إظهار

الإحترام لما يقوله (وكلاء الربّ) هؤلاء!!  
بالرغم من تفاهة حجج هؤلاء (الوكلاء) وردودهم، ومواقفهم  
من الحدث وتفسيراتهم المتهافئة له، وكيف أنهم يُعزّون السبب  
كله إلى أن هؤلاء الداعين للانتحار لا يؤمنون بالإله الذي  
يتدخل في كل ما يحدث في هذه الحياة!!

هذه الحياة التي أراد لها أن تكون على هذه الشاكلة والمنهج،  
مكونة من أناس يُعانون وآخرين يتنعمون،  
أناس يخدمون وآخرون يُخدَمون،  
وإنتهت إلى أن هؤلاء السياسيين والصحفيين لم يُصرّحوا  
بالقول الصريح مع أي من الجانبين هم يقفون؟؟  
ولم يخرج المشاهد والمستمع لهم في هذه المقابلة التلفزيونية  
بنتيجة تُفيدهم...!!  
غير أنها كانت مناسبة لوسائل الإعلام كي تستعرض قدراتها  
في جمع الناس والإحتفال بما يحدث من أحداث، والرقص على  
وقع ترانيم أحزان وآلام و بؤس المساكين....!!!

بالرغم من ذلك كله، لم تفهم "كريستين" لماذا يوافق هؤلاء الذين  
يسمون أنفسهم (علمانيون) من السياسيين والصحفيين والمحليين  
والخبراء عندما يتحدثون مع (وكلاء الربّ)؟  
ولماذا هم يخشونهم ويراعون مشاعرهم بوضوح؟

وبالمقابل فإن (وكلاء الرب) لا يظهرون كثيراً من الإحترام لأي منهم، ولا لآرائهم!

إنها معادلة صعبة التفسير...!!

لم تستطع أن تفهم شيئاً من خلاصة تفسيرات مجموع هؤلاء المختلفين في أسس مفاهيمهم وما يؤمنون به،، غير أن كلاً منهم كان يحاول أن يقدم تفسيراً ينسجم مع ما يعتقدوه هو أصلاً،، إذ كان (وكلاء الرب) يُعزرون سبب حدوث مثل هذه (الدعوات) لضعف الإيمان،

في حين كان السياسيون من أحزاب المعارضة يعتبرون أن سبب ذلك هو خطأ سياسة الحكومة،، أما الساسة من الحزب الحاكم فقد كانوا يُعزرون السبب لوقوف الأحزاب المعارضة في وجه مناهج الحكومة الإصلاحية لمعالجة الأوضاع الإقتصادية غير الصحيحة! وهكذا الصحفيون حسب إنتماءهم لمؤسساتهم الصحفية وتبعيتها السياسية،، ومن هم الممولون لها!

لقد تنبّهت "كريستين" إلى أن هذه القدرة على النقد وإكتشاف مواضع القوة والضعف، والتي إكتشفتها للتو في نفسها، ليست مقتصرة على من يمتنون السياسة والصحافة، بل حتى ليست مقتصرة على (وكلاء الرب)،،

إذ أنها في الحقيقة تكون في أبهى صورة لها فقط عندما يعيش

الناقد الحالة واقعاً وحقيقة، ولا ينظر لها من خارج دائرة  
المعاناة،،

فالمهنة لا تستطيع أن تكون بديلاً عن المعاناة...  
والحكمة ومعرفة وتمييز الخطأ من الصواب ليست حكراً على  
من يمتنون الحياة!!  
بل هي مفتوحة لكل من يعيش فعلاً هذه الحياة!  
وليس من الضروري أن يمتن الحياة!!

يا إلهي،، ما هذا الذي يحصل؟؟  
إن المعاناة فعلاً لها قدرات خلاقية،،  
لكنها تحتاج إلى من يُصِرُّ على إيقاد شعلة إطلاقها!!  
إنه من الواضح أن هنالك فرقاً كبيراً بين أن تمتن الحياة،،  
وبين أن تعيشها!!  
إن المعاناة،، هي ما تحتاجه الحكمة لكي تكون صادقة،،  
وأصيلة غير مزيفة!

هنا إنتبهت "كريستين" إلى صوت الباب يفتح،، وعرفت أن  
"جون" قد وصل،، فناداته:

• مرحباً "جون"،،  
لم يأتها ردّ واضح النبرة من "جون" الذي بعد أن ردّ الباب

خلفه تقدم بخطوات متناقلة باتجاه المطبخ المفتوح على غرفة المعيشة، وعندها فقط ردّ على تحيتها بوضوح:

- مرحباً،،، لا أرى الأطفال،، أين هم؟
- لقد تركتهم عند أمي،، أعتقد أنهم بحاجة أن يقضوا بعض الوقت مع جدّهم،، ونحن أيضاً نحتاج أن نتحدث لبعض الوقت.. وقد فضلت أن نكون لوحداً لتحدث بدون مقاطعة الأطفال.....

لم يُجبها "جون" وهو يخلع سترته، ثم ليرميها على أحد الكراسي،، بل إكتفى بإيماءة من رأسه وبإصرار من شفثيه وكأنه يتأمل ما تقوله،،  
وكانه يؤيدها بتحفظ فيما قالته،،

كان يبدو عليه بوضوح القلق والحيرة والتشتت،، كما أنه لم يكن على ما يبدو راغباً في الكلام،،  
بل أنه يبحث عن من يتحدث إليه ليكون هو مستمعاً أكثر مما لديه إستعداد للحديث،،  
وهذا ما أدركته "كريستين" وإعتبرته خطوة مشجعة باتجاه إزاحة فكرة،، بل "كابوس الإنتحار"..  
كان كمن يبحث عن مخرج من أزمته النفسية التي تضيق عليه،، وتمنعه من أقل درجة إستمتاع بأي شيء،،

كان كمن إكتشف متأخراً حقيقة شئى مؤلم، محزن، مدمّر،  
متبّط للعزيمة،،  
شئى يمنع كل رغبة في دوام وإستمرارية الحياة،،  
رغم حبه لها وتعلقه بها،  
هذه الحياة التي قد أدارت ظهرها له أخيراً،  
وبين يوم وليلة أصبح يشعر بأنه فاشل في جميع المجالات  
وعلى كل المستويات،،  
إنه هو بالفعل الشعور القاتل المدمّر،،  
فلا غرابة أن يكون كل ذلك من الأسباب الداعية لتفكيره  
بالإنتحار،،

- سيكون عشائونا جاهزاً خلال دقائق،، أكيد أنك جائع،،!  
هل تناولت شئاً قبل خروجك في الصباح؟
- .... قدح القهوة المعتادة،، ولم أشعر برغبة في تناول  
شئى غير ذلك،،
- لقد أخذت الأولاد في الصباح إلى المدرسة،، ولمّا لم أجد  
المدرسة تستقبل الأولاد كالمعتاد، فقد رأيت أن أذهب  
بهم إلى أمي،، لقد كان الكثير من أهل الأولاد الآخرين  
متجمعين أمام باب المدرسة في حيرة من أمرهم،، لم  
يعرفوا ماذا يفعلون، فلو لم تكن أمي موجودة ومتفرغة  
لكان حالي مثل حالهم، ولم أكن لأستطيع الذهاب

للعمل،،

سردت له بعض ما حدث معها في الصباح وهي تقوم بوضع الأواني على طاولة الطعام، وكانت تنظر إليه بين كلمة وأخرى لتري وقع الكلمات على وجهه،، وكان هو متابع لما تسرده عليه بعد أن جلس على أحد الكراسي في غرفة المعيشة محاولاً الإسترخاء، وكان يستمع لما تقوله "كريستين" من دون أن ينظر إليها، ولكنه كان على ما يبدو عليه، أن أمرَ الأولاد مازال يعنيه كما كان يعنيه قبل أن تحلّ بينهم هذه الدعوة المشؤومة!!

- إذأً،، قد إستطعت أن تذهبي للمكتب اليوم،، وكيف سارت الأمور هناك؟
- لم تكن كالمعتاد في مجملها،، وأنا لم أكن في الصباح مثلما أنا الآن!

كانت تعني بالشرط الثاني من جوابها أن تثير إنتباهه إلى أنها الآن ليست كما كانت في الصباح، وتنتظر مدى إنتباهه لما تقوله لتعرف كم هو يركز تفكيره معها، وكم تعني كلماتها له.

- تأخر للحظات بعد أن أنهت جوابها، لكي يرد عليها بإستفسار:
- أفهم أن الأمور لم تكن في المكتب كالمعتاد وأتوقع ذلك،،

ولكني لا أفهم مالذي يمكن أن يتغير فيك بين الصباح  
والآن؟؟

سرّها أن تسمع منه إستفساره هذا، وكانت قد أنهت تحضير  
المائدة ووضع الطعام على الطاولة، وردّت عليه بعد أن دعتّه  
للجلوس إلى المائدة قائلة:

- معك حق،، قد لا أستطيع الإجابة بوضوح عمّا قد تغير  
بيّ بين الصباح والآن، ومن المؤكد أن التعبير الصحيح  
سوف يخونني ولن يكون توصيفي للتغير دقيقاً،  
ولكنني أعتقد أنني بدأت أرى كثيراً من الأمور التي لم  
أكن أراها أو أتنبه إليها،  
في نفسي وفي الآخرين!!
- ..... ومالذي أدّى بك اليوم أن ترين الأمور التي لم  
تكوني ترينها من قبل؟؟  
لا أفهم مالذي تقصدينه؟؟  
وكيف حصل هذا، ولماذا اليوم بالذات؟؟

توقف عن الأسئلة المتعاقبة التي وجهها لها منتظراً جوابها،  
بينما هو ينظر إلى الموجود في الصحن الذي أمامه، ويتناوله  
ببطئٍ وعدم الرغبة في الأكل واضحة عليه،  
أمّا هي، فقد توقفت هي عن تناول طعامها، ونظرت إليه

للحظات ثم قالت بعد ذلك:

- لقد كان اليوم غير إعتيادي في المكتب، وخارج المكتب، كل شيء كان على غير المعتاد، في الحقيقة هذا اليوم لم يكن يوم عمل فعلي، بل على الأغلب أستطيع القول أنه كان يوم... يوم تعارف مع النفس ومع الآخرين....!

وتوقفت مرة أخرى تنتظر ردّ فعله على ما قالتها،،

وهنا توقف "جون" عن النظر إلى صحنه، ورفع رأسه ينظر لها وليتسائل:

- تعارف مع الآخرين؟؟  
من هم الآخرين؟؟

ثم صمت لينتظر منها الجواب الذي تأخر للحظات، وبعد لحظات كانت تبدو طويلة بالنسبة له، عادت لتجيبه:

- ليسوا كثيرين، بل في الحقيقة إنه واحد فقط،، إنه "بوب"،،  
"بوب" الذي تعرفه،، ربّ العمل،،

ظلّ "جون" صامتاً ينتظر منها إيضاحاً أكثر،،، فعادت هي

لتكمل كلامها قائلة:

• اليوم علمت أن فيه من الصفات ما لم أكن أتوقعها فيه،،  
كنت أراه شخصاً لا يعرف غير الجدية والحزم في  
حياته، أقصد عمله،،

عمله أو حياته لا يهم، لأنهما كانا يبدوان لي كأنهما نفس  
الشيء ولهما نفس القيمة بالنسبة له،، ولا قيمة ولا وجود  
لأي منهما دون أن يوجد الآخر،،  
أعني يبقى متواجداً وملاصقاً أحدهما للآخر،،  
واليوم فقط علمت بأن فيه الكثير من المشاعر الإنسانية  
التي لم يكن يهتم كثيراً لإظهارها،،  
وربما أنا الوحيدة التي تعمل لديه والتي تعرف هذا عنه  
الآن،،

ظلّ "جون" صامتاً منتظراً أن تصل "كريستين" إلى فحوى  
كلامها لأنه يعلم أن ماقالته عن "بوب" ليس هو كل ما قصدته  
مما قد تغير فيها ما بين الصباح والمساء،،

أما هي فقد تعمّدت أن تسكت لبُرْهة لعلّ "جون" يقول شيئاً أو  
يطلب منها أن تكمل كلامها،،  
لكنه لم يفعل،،

بل ظلّ صامتاً ينتظر منها أن تعود لكلامها عما حدث معها  
اليوم،،

ولما طال الصمت بينهما لم تجد "كريستين" بُدأً من أن تعود للموضوع،، إلى صُلبه،، خشية أن يفقد "جون" إهتمامه به و يتغير مسار الكلام،،

فقد رأت أنه من الأفضل لها أن تتحدث عن صُلب ما دار بينها وبين "بوب" من حديث ونقاش لكي تحاول أن تُشارك "جون" قدر الإمكان في الحديث،، وتستطيع أن تستمر به،، حتى لو كان ذلك عبر تساؤلاته،، ولذا فقد عادت لتكمل كلامها:

● اليوم، بعد أن وصلت للمكتب، كنت كما تتوقع، في غاية الإضطراب وعدم الإتزان، بعد ما كان بيننا من كلام،، ليلة أمس،، وكذلك الأوضاع التي عشتها في الصباح مع مدرسة الأطفال وذهابي بهم لبيت أمي،، وعند دخولي للمكتب وجدت "بوب" منتظراً وصولي بشغف واضح، ليس بسبب تأخري عن العمل، وهو ما كنت أحسب حسابه،،

لكنه كان في الحقيقة مشغولاً بتفكيره في موضوع ....  
موضوع (الدعوة) التي إنشغلنا بها نحن،،  
رغم أنها لا تعنيه بشيء على ما يبدو،،  
إلا أنه كان مهتماً بمعرفة كل شيء عنها،،  
وكان يفكر بعمق في كل ما يمكن أن يكون حولها من أسباب، وصولاً إلى الناس الذين يدعون لها!!

كان "جون" أثناء حديثها ينصت بإصغاء وإهتمام واضح،،  
مقطباً حاجبيه مفتحاً عن درجة تركيزه وإهتمامه بكلامها،،  
ومستغرباً في الوقت نفسه من شدة إهتمام "بوب" بموضوع  
(الإنتحار الجماعي)،، حتى أنه قاطعها متسائلاً:  
● هل يعرف أحداً ممن ينوون المشاركة في هذه الدعوة؟

أجابته بسرعة،، وبنفي قاطع قائلة:

● كلا،، كلا بالتأكيد،، فهو مستغرب من موضوع هذه  
الدعوة وجديتها،، وكل ما يعرفه عنها هو ما سمعه من  
القنوات التلفزيونية الأخبارية، وكان يحاول معرفة أكثر  
مما عرفه من قنوات التلفزيون،،  
أعني من واقع المجتمع ومن خلال أسئلته لي،،،،  
● أسئلته لك؟

عن ماذا يسألك؟

ولماذا يسألك أنت؟؟

● هو في الحقيقة لم يسألني،،،  
بل إنه قد لاحظ عليّ الإضطراب والحالة المشوشة التي  
كنت على ما يبدو أعيشها في الصباح،،  
وكانت سبباً لإعادته إستفساره عن سبب إضطرابي،،  
ولذلك لم أجد مهرباً من أن أتحدث له عما أنت مقتنع به

فيما يخص هذه الدعوة!!  
وأنا في الحقيقة كنت أريد أن أتحدث عن الموضوع مع  
أي شخص تتاح لي فرصة الحديث معه،،  
وأعتقد أنني تحدثت لأفضل شخص يمكن أن أتحدث  
له،،

والنتيجة كانت أنني شعرت في نهاية الأمر بأنني قد  
أحرزت،،، أو على الأقل هذا ما أتصوره عن نفسي،  
قد أحرزت تقدماً في قدرتي على الملاحظة المفيدة جداً  
في تفسير الأمور والظواهر المختلفة،  
وربما هذه الدعوة للإنتحار واحدة منها،  
أقول،، ربما،، لأنني مازلت أجهل عن هذه الدعوة أكثر  
مما أعرف عنها،،

والحقيقة أنني أنتظر منك أن تعرفني بها أكثر،،  
ذلك إن كانت لديك معلومات تثق وتؤمن بها!

• ..... ربما،، بعد أن تكلمي مالذي عرفته من "بوب" أو  
عنه اليوم مما لم تعرفه من قبل؟

• ... عرفت أنه إنسان يفكر بالناس الذين من حوله ليس  
بميزان أو بمقياس ما يمكن أن يعود عليه منهم من  
مردود مادي،،

عرفت أنه يهمله أن تكون أحوال الناس أفضل بصورة  
عامة،، حتى لو لم يكن لذلك أثر إيجابي على حياته،،

عرفت أنه لا يبدو سعيداً لمجرد أنه يمتلك المال الكثير،  
وهذا الأمر كنت بحاجة جداً لمعرفة، لكي أقتنع به  
وأصدق، لأنني كنت أسمع عنه الكثير، أعني أثر المال  
الوفير على صفات الناس وسلوكهم،،

ربما في الأساطير الرومانسية ولكن ليس في الحقيقة،،  
كذلك عرفت عن نفسي أنني قد أستطيع أن أصل إلى  
نتائج مُقنعة،،

أو لا بأس بها عندما أفكر جدياً بموضوع معين،،  
كنت قبل ذلك أعتقد أنه لا قدرة لعقلي على الخوض بمثل  
هذه الموضوعات الجادة،،

التي تستوجب جرأة في التفكير،،  
والتحدي للمألوف وإجتياز الممنوعات.....  
● ..... مثل ماذا؟؟

قالها "جون" بقوة وإهتمام واضحين لمعرفة الجواب، وظلّ  
محدقاً فيها ينتظر الجواب منها،،  
أما هي فقد أطرقت برأسها وعادت لتتناول شيئاً من صحنها،  
لكي تجمع قواها وتستطيع أن تجيبه الجواب الذي تريده عما  
عرفته عن نفسها،،

وبعد ثوان من الصمت أجابت:

● قد علمت بأن لدي قدرة على التمييز بين الأمور،،

- وأن لا أكون تابعاً لما يريده الآخرون!!  
أو أن أو من بما يؤمنون به،  
لقد علمت بأنني يمكنني أن أعيش بقناعاتي،  
وليس بقناعات من سبقوني مثل أمي وأبي وأجدادي،  
وأعتقد أن هذا شيء لم يكن بمقدوري أن أصل له،  
لولا حديثي اليوم مع "بوب"،  
لقد كان حديثي معه من أهم الأمور غير الإعتيادية التي  
حدثت لي ليس خلال هذا اليوم فقط،  
بل خلال مدة تزيد على عدة سنوات!!  
ومعها أيضاً كانت دعوته لي لتناول الغداء معه في  
مطعمه المفضل لأنه أراد أن يعلم أكثر عما يمكن أن  
يساعد فيه بشأن ما نحن فيه الآن!
- دعوته لك للغداء!! وكيف كان ذلك، وما المناسبة؟؟
  - نعم،، كان ذلك رغبة منه لإهتمامه بموضوع (دعوة  
الإنتحار) وبعد أن علم مني أنك مقتنع بها،  
أراد أن يعرف أكثر بعد أن كان هو في الأساس مهتم بها  
منذ أن سمع بها قبل يومين من التلفزيون والصحف،،  
لقد رأيت فيه اليوم شخصاً غير الذي كنت أتصوره،  
ومن هنا علمت اليوم بأنه ليس كل مانراه سيئاً بنظرنا  
هو سيئاً فعلاً!
  - يبدو أن يومك كان فعلاً غير عادي،،

بل يبدو أنه كان حافلاً،، ومفيداً لك بالتأكيد كما تقولين،،  
وليس كيوميّ الذي كان مُغلّفاً بظلمة لم أستطع أن أتبين  
منها شيئاً،،

ظلمة زادت من حيرتي وكُرهيّ للحياة،،  
وكل ما يدور فيها،،

وكُرهيّ للكثيرين ممن يمثلون معالم واضحة وأهمية  
كبيرة ويحركونها ويتحكمون فيها،،  
وكُرهيّ حتى لنفسي،،

فلم أعد بعد قادراً على أن أعيد النظر بأي شيء،،  
لا القديم الذي كنت أحبه،،

ولا الجديد الذي كنت أسعى أن أكون جزءاً فاعلاً فيه، أو  
هكذا كنت أتصور، لسذاجتي وفهمي السطحي للأمور،،  
ولا أستطيع أن أدعيّ بعد الآن أنني قادر على الوقوف  
في وجه أي هاجس يطرق بابي،،

فقد أصبحت أبوابي ونوافذي كلها مُشرّعة لريح كريهة  
باردة ذات مرّة،، ومرّة أخرى كلهيب جهنم،،!

لا أعرف أي جهنم؟؟

ولا أعرف ما هي جهنم؟؟

وأي أمر هذا الذي أتحدث عنه،،

وعن أشياء ومفاهيم لا أعرف عنها شيئاً؟

ولا أعرف إن كانت موجودة أصلاً أم أننا قد تعودنا أن

يكون لها دور في منتهى السخافة في حياتنا،  
حياتنا التي هي بدورها أسخف ما يمكن أن يكون عليه  
السخف!!  
أنا مرهق،،  
أنا مُنهار،،  
لا أريد أن أسمع شيئاً،  
ولا أريد أن أعرف شيئاً،  
كل ما عرفته في حياتي،، خلال مايزيد على الثلاثين  
عاماً من عمر الوعي الذي عشته،، لم يستطع أن يقف  
معي في محنتي هذه،،  
أين هو (الربّ) الذي يتحدثون عنه؟؟  
أين هي عدالته؟؟  
أين هي رحمته؟؟  
كلها وهم،، أشاعه ونشره الكبار بين الصغار،،  
الكبار يعرفون ماذا يفعلون،،  
والصغار قليلاً ما يدركون ماذا هم فاعلون،،  
وأي وهم وسخف هم يعيشونه؟؟  
إنهم ليسوا أكثر من العوبة بأيدي الكبار،،  
إن الحياة مجرد لعبة كريهة، بشعة، لا رحمة فيها،  
وهناك عصابة من الكبار يلعبونها كيفما شاؤوا!!!  
وليس هنالك ما يستدعي المشاركة فيها،، لمجرد إسعاد

الكبار وملئ الفراغات لهم،  
هذا ما عندي لأقوله، لك ولد "بوب"،  
رغم أنني لم أعرف ما الموضوع الذي دار بينكما،،  
ربما كان سيهمني ذلك لو أنه حدث قبل أسبوعين،  
أو ربما حتى أسبوع،  
لكنه لم يعد مهماً الآن،  
لقد إتضح لي الأمور أنا أيضاً،  
أمور من نوع آخر،  
ليست من نفس نوع تلك التي إتضح لك اليوم!!

\*\*\*\*\*

## "بوب في لقاءه العائلي"

كانت عودة "بوب" لمنزله قبل مواعده المعتاد، وكانت زوجته "نيكولا" في إنتظاره، فقد تحدث معها تلفونياً وهو في طريقه للبيت وأخبرته أن "جوناثان" و "جوزيفين" قادمان اليوم لتناول العشاء معهما، وكان هذا الموعد مرسوماً من قبل أيام، لكنه يبدو أن "بوب" قد نسيه في غمرة الحدث، فقد كان ابنه "جوناثان" مسافراً في مهمة عمل في عدة ولايات أخرى. وصل "بوب" قبل وصول "جوناثان" و "جوزيفين"، وكان متلهفاً على ما يبدو لرؤية أحفاده الثلاثة، ابن "جوناثان"، "ستيف" الذي يبلغ أربع سنوات، وابنة وابن "جوزيفين"، "كارول" و "تيد" اللذان يبلغان ثماني سنوات، وخمس سنوات.

إستقبلته "نيكولا" بإبتسامة فرحة وتحية وقبلية، رغم أنها كانت مشغولة بإعداد الطعام يساعدها في ذلك خادمتها اللتان يبدو

عليهما أنهما من أبناء أميركا الجنوبية التي يغزو الآلاف من أبناء دولها المختلفة الولايات الجنوبية بحالة مهاجرين شرعيين وغير شرعيين طلباً للعمل بأجور متدنية في أغلب الأحوال،،، و "بوب" يعلم أن ترحيب "نيكولا" غير العادي به قد ساعد فيه أنها تهيئ لإستقبال إبنتها وإبنتها وأحفادها،،، إنها حالة إنسانية،،، لعلها تكون كافية لتجاوز ألم ومرارة ما يمرّ به هو وزوجته من حالة كآبة سيطرت على أيامهم الثلاثة الماضية، لكي يتجاوزها لساعات قليلة مع أبنائهما وأحفادهما،،،

يا إلهي كم هو أناني هذا الإنسان،،  
أناني في ذاته ومجمل مشاعره،،

هل يمكن أن يتجاوز الإنسان يوماً ما أنانيته...؟؟  
أم أنها هي الصفة الحيوانية التي لم ولن تتغير فيه...؟  
ولن يستطيع تجاوزها أبداً!

وصلت "جوزيفين" ومعها "كارول" و "تيد"،،، ولم يحضر زوجها "إيرني" معها،، ذلك لأنه يعمل لوقت إضافي في ذلك اليوم،، وعمله فنيّ في مصنع من مصانع تدوير النفايات،،، إحتضن "بوب" حفيدته "كارول" التي كانت دائماً ترمي بنفسها في أحضانها لكي تستحوذ على إهتمامه، ولكي تشغله عن

الإهتمام بأخيها وتحظى بكل إهتمامه، وهو لا يرغب في قمع رغبتها الواضحة هذه ويحاول طمأنتها بأن يبقى محتظناً لها بينما يمد يده لحفيده الصغير "تيد" للترحيب به، ثم يسحبه برفق ليحتضنه مع أخته، بعدها أطلقهما ليتفرغ لابنته التي بادرت بتقبيله بعد أن قبّلت والدتها أول دخولها للبيت.

سأل "بوب" إبنته "جوزيفين" عن حياتها وكيف تسير الأمور مع زوجها وأولادها، وهي تأخذ طفلها بيديها إلى حجرة جلوس العائلة لكي تدلها بعد ذلك كالعادة على ألعابهما في الغرفة الصغيرة المخصصة لهما ولألعابهما في بيت جديهما،،، لم يكن "بوب" يتوقع من إبنته أن تعرف الكثير عما يدور حول تلك الدعوة للإنتحار،،، لذلك لم يسألها عن هذا الموضوع، ربما زوجها يعلم الكثير عن تلك الدعوة،، لكنه يبدو أن زوجها لا يتحدث معها حول مواضيع من هذا النوع،، فهي مشغولة بأبناءها، كما أنها لا يبدو عليها أنها تعبأ كثيراً لشيئ خارج هذا النطاق،، حياتها وأولادها، ولا تهتم لمعرفة ما يمكن أن يحدث في العالم أو ما حولها مما ليس له علاقة مباشرة بها،، فهي واحدة من الملايين الذين لا يتعدى نطاق إهتماماتهم حدود حياتهم الشخصية وما يمسه مباشرة،،

إنها من الناس الذين لا يشعرون بحرارة النار قبل أن تبدأ بإلتهايم

ثيابهم.....!

وصل "جوناثان" ومعه زوجته "ليز" وابنه "ستيف" بعد فترة وجيزة من وصول أخته "جوزيفين"، وإتضحت على "بوب" علامات الإهتمام الكبير بوصوله، وكان لقاءه به وبحفيده فيه من الحرارة ما هو أكثر من حرارة لقاءه بابنته وطفليها...

إحتضنت "نيكولا" زوجة ابنها "ليز" بحرارة، ثم أخذت حفيدها بأحضانها، ثم تابعت ذلك أخيراً بإحتضان ابنها "جوناثان" وسألته عن سفرته وكيف كانت،، وأثناء ذلك كان "بوب" قد إحتضن زوجة ابنه مرحباً بها ثم حفيده الذي إحتضنه هو بدوره بشدة ممّا يدل بوضوح على حب الطفل الشديد لجده، بعدها توجه "جوناثان" لتحية أبيه وإحتضانه، وسأله "بوب" عن نتائج سفرته الأخيرة وهل كانت مجدية عملياً؟ أجابه "جوناثان" بأنها كانت لابأس بها، لكنها لم تحقق ما كان مأمولاً منها،، ثم عاد "جوناثان" وقبل أن يجلس ليبادر والده ويفاجئه بالسؤال عن موضوع تلك (الدعوة للإنتحار)، وكأنه يعرف أن أباه لايد أن يكون موضوع هذه (الدعوة) من إهتماماته الكبيرة،، فلقد كان دوماً ينظر للأمور من منظار عام وأشمل ولم يكن ضيقاً في نطاق تفكيره،،، ومن سؤاله يتضح أنه يريد أن يفهم من أبيه وجهة نظره حول ماهية هذه الدعوة وما هي قيمتها وتوقعاته لتأثيراتها المستقبلية،،

فهي ليست مثل دعاوى سبقتها كانت محصورة في نطاق مجاميع دينية مذهبية ضيقة ظهرت بين مجموعة محدودة جداً من الناس، وإنتحرت بعد ذلك إنتحاراً جماعياً وبطرق مختلفة!! ولم يعد لها تأثير على المجتمع ولا يذكرها أحد إلا من باب أنها قد حدثت وإنتهت،،

جاء سؤال "جوناثان" لأبيه مفعماً بالإهتمام والقلق من هذه الدعوة، ويبدو أن "بوب" قد أعجبه إهتمام ابنه بهذا الموضوع بإعتباره أمراً يستحق حسب رأي "بوب" الإهتمام به من قبل كل من يعيش في هذا البلد، وخصوصاً من يسعون لإنشاء وإقامة أعمال خاصة بهم، أياً كان شكل هذه الأعمال وطبيعتها....

كان "بوب" ينوي سؤال "جوناثان" عن مدى معرفته عن هذه الدعوة، ولكن هاهو "جوناثان" يبادره بالسؤال ليظل "بوب" للحظات واجماً لا يدري كيف يبدأ إجابته، لكنه بعد لحظات جاءت إجابته:

- أعتقد أنني يجب أن أقول قبل كل شيء أنها دعوة (جادة)، أو على الأقل هكذا تبدو لي،، ومن المهم جداً أن يعطيها

المجتمع ما تستحقه من إهتمام،  
فهي ليست مثل ما سبقتها من دعوات،، وأنا لا أعتقد  
بأن سابقاتها كن يعتمدن نفس العمق ولا نفس الجدية،  
والأهم من ذلك أنه لم تكن أي من تلك الدعوات نابعة من  
نفوس كانت تعاني فعلاً!!

والآن قل لي أنت، ماذا تعرف عنها؟؟

• ..... ليس أكثر مما تقوله وسائل الإعلام،، وما يقوله  
البعض من الناس...

• ماذا يقول الناس؟

• ليس الكثير،، في الحقيقة أنا لا أعرف أحداً منهم معرفة  
شخصية،، إلا أنه يبدو أن هنالك الآلاف منهم ممن  
يؤيدون الدوافع والأسباب الداعية لهذه الدعوة،، أعرف  
أن اثنين من زملائي في العمل لديهم من أقاربهم  
وأصدقاءهم من هم مقتنعون بها فعلياً،،

ممن بلغ بهم اليأس مبلغاً كبيراً وقد يشاركون فيها،  
هي بالفعل كما تقول يبدو أنها دعوة جدية وغير  
إعتيادية!!

• نعم،،، بالتأكيد ولكن يبدو أن المسؤولين والسلطة لدينا لا  
يعتقدون ذلك،،

وإلا لما تركوا الأمر هكذا بدون أن يُعْطَوْه معلوماتياً لكي  
تعرف الناس حقيقة الأمر...

إن الأسباب التي تقف وراء هذه الدعوة ستبقى قائمة مادامت البشرية قائمة الوجود،  
ولذلك فإنها حتى لو إنتهت الآن كمشكلة يتعامل معها الناس بردود أفعال مختلفة،، سرعان ما ستعود لتظهر بعد سنوات،  
وستبقى تنتهي في كل مرة لتعود من جديد مثلما هو الحال مع الأفكار الديكتاتورية والفاشية التي عشنا مع الكثير من نماذجها في القرن الماضي!!

ردّ "جوناثان" على "بوب" بقوله:

• يا أبي،، أنا لم أكن أعلم أن لك إهتمامات سياسية كما أراها الآن!! ولكن بالتأكيد أن ماقلته قد يكون صحيحاً، ولكن في نفس الوقت، أنا أعتقد إمّا أنهم لا يريدون أن يعطونها قيمة كبيرة لكي لا يسببوا إرباكاً لمسيرة العمل والحياة، أو أنهم، وهذا ما أعتقده، ربما لا يعرفون كيفية التعامل والتصرف في موقف من هذا النوع،، فهذا لم يسبق حدوثه،، كما أنه لا يبدو أنه سيؤدي من لن يشارك به،، فالإنتحار من ناحية كونه عمل أو إختيار شخصي هو من حق الناس إذا ما إختاروه في بلد يعتبر نفسه البلد الديمقراطي الحقيقي الأول في العالم...!!

● ممممم،،، أنا سعيد فعلاً أن أسمعك تفكر هكذا، فأنت لا يبدو أنك تمرّ على الحدث أو الخبر مرور الكرام، وهذه هي الجديّة بعينها التي يحتاجها من يريد بناء عمله ومؤسسته،،

أخبرني الآن كيف كانت سفرتك،، وما كان الغرض منها؟

● كانت لغرضين، أولها أن أبحث عن سوق للبرنامج الجديد الذي نقوم بإعداده،، والثاني هو مقابلة بعض الفنيين وذوي الخبرة ممن يمكن أن يشاركوننا في مشروعاتنا التي ننوي تنفيذها،، لم تكن السفرة موفقة كثيراً ولا مثمرة بقدر الحاجة التي نحتاجها،، ولكنني لم أكن أتوقع لها نتائج أفضل بكثير، فالركود يعمّ معظم جوانب العمل في مجال المعلومات وبرامج الكمبيوتر، لقد أصبح المشتغلون به الآن أكثر من حاجة السوق بكثير،، والكل يريد تنفيذ ما بذهنه من أفكار،، والتشابه في التصميم والمنافسة قوية هنا،، والعالم الآخر يقوم بالكثير مما نقوم به وبتكاليف أقل، كما أننا قد خرجنا من زمن العصر الذهبي لإمبراطوريات المعلومات وبرامج الكمبيوتر..

- وهل هذا برأيك يهدّد مستقبلكم وعمل شركتكم؟
- إلى حدود ما، وربما هو مؤثر فعلياً على الجميع...

- لا أعلم من هو الذي لا يعاني من مشكلة في عمله،،؟  
حتى من ينتجون الغذاء الذي لا يستغني عنه البشر،،  
بل أننا بأمس الحاجة له في الكثير من دول العالم،، حتى  
هؤلاء يشكون من سوء أوضاعهم، ومن عدم قيام  
الدولة بتقديم الدعم الكافي لهم،،  
وأن أسعار بيع منتجاتهم أقل مما يمكنهم أن يتحملوه،،  
وما يستطيعون به تغطية مصاريفهم!  
ونحن ندفع على ما أعتقد أسعاراً مضاعفة لطعامنا،،  
والعالم نصفه جائع!  
أليست هذه معادلة غريبة،،  
في بعض الأحيان أود لو أستطيع أن أضع نفسي موضع  
أحد هؤلاء الذين يدعون (للإنتحار) لكي أعرف بالضبط  
مالذي يمكن أن يدفع الإنسان أن يقرر إنهاء حياته؟  
فأنا بوذي أن أعرف ذلك لأنني أشعر بأن العالم يسير  
نحو وجهة غير آمنة وأنه ربما ستكون في هذه الواجهة  
نهايته كعالم سعى الكثيرون عبر التاريخ أن يجعلوه آمناً  
وغير خطير كما هو الآن،،  
فبقدر ما يوجد أناس يعملون لصالح البشرية،،  
هنالك من يخططون وينفذون لتدمير الإنسان،،  
وما بنته أجيال عبر قرون من الجدّ والكفاح...  
إن هذا هو الإعلان الصريح عن فشل الأنظمة كلها...!

- أنت تقصد السياسيين والحكام بالتأكيد....!
- أنظر إلى ذلك! ما هذا الإستنتاج الرائع!!  
الآن أشعر أنك ولدي القريب فعلاً، وأعتقد أنني لا أحتاج أن أقلق عليك مثلما كنت قبل الآن..
- لا تنسى أنني أولاً قد ورثت هذا في جيناتي منك، وعشت مع الكثير من المفاهيم التي كنت أتلقاها منك مباشرة أو غير مباشرة عندما كنت أعيش هنا قريباً منك، وأعتقد أنني كنت تلميذاً جيداً،

هنا جاءهم صوت "نيكولا" تدعوهم للجلوس إلى المائدة لتناول العشاء.....

\*\*\*\*\*

## "كريستين و جون"

ظَلَّ جوّ الحزن والكآبة مخيماً على غرفة الجلوس حيث تجلس "كريستين" شاردة الذهن فاقدة لأي رغبة بأن تفعل أي شيء، وهي تجلس في مواجهة "جون" الذي جلس هو الآخر شبه منهار بعد ما أخرج مما في صدره من إحساس بالضعف والإنهيار،

ربما كان لديه الكثير غير ذلك الذي قاله مازال مخزوناً في صدره،، غير أنه لم يقصد أن يوجهه لكريستين التي أحبها ويحبها ويحب أبناءه،،

ولكنه كم تمنى لو تتاح له الفرصة لكي يتقيأ ما بداخله في وجوه أولئك الذين يُوجّهون (لعبة الحياة)،،

هذه اللعبة التي أصبحت ممّلة لكل من لديه إحساس،، من أولئك الذين يعيشونها على الهامش،،

لعبة تزداد رتابتها وكآبتها كلما زادت سعادة الكبار الذين

يحركونها،

لقد كانت كلماته عما يشعر به قد أعادت "كريستين" إلى المربع الأول الذي كانت عليه في الصباح عندما كانت بلا أدنى قدرة على التحكم بما يمكن أن تفعله أو تعتقد أن فعله هو الصواب،،

هل يمكن أن يكون ما يقوله "جون" ويشعر به هو الحقيقة التي يحاول الجميع التهرب منها؟!!

إن لم يكن شعوره حقيقياً وصحيحاً، فماذا يمكن أن نقدمه تفسيراً لما يدور في هذا العالم من مظالم تمرّ أمام أعيننا ولا تعيننا بشيءٍ مادامت لم تصفنا على وجوهنا!

هاهي تصفع، بل تسحق الآلاف وربما الملايين من البشر في أنحاء العالم،،

أنحاء العالم الذي تبلغه أيادي الكبار بسهولة عندما يرغبون بذلك،،

وفي أحيان أخرى تبلغه يد (الربّ) الذي يبدو أنه يقوم بالعمل نفسه نيابة عن هؤلاء الكبار،،

هل يمكن أن يكون هو (ربّ) الكبار فقط وليس (ربّ) الجميع...؟!!

وهو بذلك يحاول إخلاء الأجواء قدر الإمكان لهؤلاء الكبار!!  
هل يمكن أن يكون هذا هو ما حدث ويحدث عبر العصور...؟

ثم إستعادت "كريستين" وعيها وإنتباهها بعد فترة من الصمت الثقيل المعتم اللون، الذي خيم على الجلسة بينها وبين "جون"، نهضت من جلستها وتوجهت لتعمل القهوة، وإسترجعت البعض من قوتها، وهي تحضر القهوة ومن دون أن تراه أو يراها حيث ظلّ "جون" يجلس في مكانه،، فقالت بصوت مسموع:

● أعتقد أنه علينا أن نفكر بجدية وبدون إنفعال فيما يحدث...

لم يأتيها ردّ منه،، فقد بقي صامتاً، ثم عادت لتقول:

● كما أعتقد أننا يجب أن نفكر بالأطفال أكثر مما نفكر في أنفسنا،، وأن لا نقتصر الكلام على ما في حياتنا من سلبيات،، فنحن كثيراً ما مررنا بأوقات مازلنا نذكر كم فرحنا بها وكم كنا مرتاحين....

إستمر "جون" في صمته وعدم ردّه على ما تقوله،، ولذا فقد تشجعت أكثر لتواصل كلامها وتقول:

● نحن لا نعرف شيئاً عن هؤلاء الذين يدعوننا لكي (نموت) وأن ننهي حياتنا بإختيارنا،،

وأنا من حقي أن أتساءل، وأنت أيضاً،،  
أعتقد لا بد أنك قد تسألت عن المغزى من هذه الدعوة،،  
نحن لا نعرف مَنْ وراءها،،؟  
ألا يمكن أن يكون وراءها مجموعة من الكبار،،؟  
قد يكون أحد العقول المبتكرة للأفكار الإستثمارية ترى  
أن في موت الناس من هذه الطبقة أو تلك فائدة تعود  
على هؤلاء الكبار، نفس أولئك الذين يقصد هؤلاء  
اليائسون إيذاءهم بقتلهم أنفسهم!!  
لا أعرف، أنا لا أعرف،،،  
وبودّي لو أسمع منك شيئاً أكثر عنهم،،،  
ماذا تعرف عنهم لكي تفتنع بما يدعون إليه،؟  
هل كنت ستفتنع بدعوتهم هذه لو كنت ماتزال محتفظاً  
بعملك الذي كنت تحبه؟

هنا جاء صوت "جون" يجيبها بهدوء:  
● ليس المهم أن أعرف من هم هؤلاء ولا التفاصيل عن  
دوافعهم الحقيقية،،  
المهم أنهم فتحوا عيني على تفاهة وعدم جدوى هذه  
الحياة،،  
إن مجرد بقائي على قيد الحياة أستهلك طعاماً يتاجر به  
الكبار ليستفيدوا من أرباح إيراده أكثر مما يستفيد منه

العامل أو الفلاح الذي ينتجه فعلياً،  
إن هذا وحده كافٍ لأن أتوقف عنده ساعات أفكر فيه  
لأكتشف كم هي ظالمة هذه الحياة،!  
وكم نحن أنفسنا الصغار نشارك في تعميق جذور الظلم  
فيها، وكم نحن نساهم في ملئ بطون هؤلاء الكبار من  
أتعابنا وجهودنا،

- ولكننا لا يمكن أن نحلّ هذه المعضلة بأن نختار مغادرة  
الحياة بأنفسنا!  
لأبد أن هنالك طريقة أخرى لتسوية الأمر للوصول إلى  
رضى وقناعة الذات،
- نعم، نعم من الممكن ذلك بأن نواصل خداع أنفسنا،  
ونعيش في ظل آمال وأمني واهية...
- لايهمني ما يمكن أن يكون ذلك،  
خداع أو غير خداع،  
أنا في هذا الوضع سأكون واقعية،  
ولن يهمني غير المحافظة عليك وعلى أولادي،  
حتى لو تطلب ذلك أن أحارب الكبار،  
أصحاب شركات كانوا أم رجالا في الكونغرس أو حكاماً  
في كلّ العالم!!

لم يُجبها "جون" على ما قالتها، بل ظل صامتاً ينظر بدون تركيز على أي شيء أمامه، وأحست هي بأن كلماتها الأخيرة التي أوجزت فيها أنها لا يهّمها غير المحافظة عليه وعلى أولادها قد لاقت موقِعاً وترحيباً داخل نفسه،،  
وربما ستوحي له بأنها إختارت الحرب على الكبار وليس مهادنتهم والإذعان لرغباتهم!  
وهذا مما قد يثير إهتمامه وإنتباهه،،  
وقد يدفعه للتفكير في بديل عن الإنتحار!  
ولكن أي بديل؟؟

\*\*\*\*\*

## اللقاء التلفزيوني الكبير

نظمت أكبر قنوات التلفزيون الإعلامية لقاءً خاصاً لتغطية هذا الحدث الكبير والفريد من نوعه،، حيث أنه الحدث الأول الذي يوفر للأجهزة الإعلامية الفرصة لتغطيته والحديث عنه قبل وقوعه،، وليس بعد وقوعه، رغم أنه لا أحد يعرف بالضبط متى سيحدث،، أو بالأحرى متى سيبدأ حدوثه، ذلك أنه من المفترض وحسب المعلومات العامة التي وردت عنه أنه سيحدث تباعاً وفي ولايات ومدن مختلفة ومواقع متعددة وربما سيحدث في البيوت أو الأماكن العامة، ولا يُعرف لحد الآن مدى المشاركة الفعلية التي ستحدث في بلدان أخرى من العالم القريب والبعيد،،

وقد دُعِيَ لهذا اللقاء عدد من الشخصيات الإعلامية، وآخرين ممن يُسمّونهم محلّلين سياسيين، وإختصاصيين في علم الاجتماع، وعلم النفس، وسياسيين من أحزاب مختلفة ومن

توجهات محافظة وليبرالية،، كما فُتح المجال لعدد لا بأس به من عموم الناس الذين رغبوا في المشاركة المباشرة بصفة مستمعين فقط، والبعض منهم ربما سوف تُتاح له الفرصة لإثارة نقاط عامة لها علاقة بهذا الحدث لكي يمثل وجهة نظر إنسان الشارع العام،، كذلك دعي لهذا اللقاء ممثلين عن الديانات المختلفة الشائعة في البلاد من ممثلين للديانة المسيحية واليهودية وممثلين للمسلمين، من طائفتي السنّة والشيعّة، وممثل عن الديانة البوذية، كما كان هنالك أحد المشاركين عبر الهاتف التلفزيوني من إحدى المنظمات الإلحادية، وهو عالم فيزياء كونية معروف.

كان موقع اللقاء في قاعة كبيرة، وكانت الكاميرات في بداية اللقاء مسلطة على مضيف اللقاء وهو شخصية إعلامية معروفة كثيراً ما يكون له الدور الأول في تغطية الأحداث المهمة،،

بدأ حديثه عن هذه الدعوة، ووصفها بأنها أول دعوة في التاريخ تدعو لأن ينتحر الناس إنتحاراً جماعياً وبدون أن يكون هنالك سبب واضح لتنفيذ هذا الإنتحار، بل هنالك مُخطّط قد يحقق أهدافه وقد لا يحققها، وهو إحراج الكبار من الأغنياء الذين يحتاجون الخدمات المختلفة ويقومون على الإستثمار فيها وليس العمل الفعلي فيها!!

إنهم أرباب العمل الذين يعتمدون على الأيدي العاملة في أعمالهم وإستثماراتهم، إنه إحراج هؤلاء والتهديد بإيقاف أعمالهم ومصالحهم،، وربما للأبد!

كما أنه ذكر بأن هذه الدعوة قد ظهرت وشاعت أخبارها بين الناس في البداية عن طريق وسائل التواصل الإجتماعي،، ثم بدأت القنوات الإعلامية بتغطيتها من خلال المعلومات البسيطة المتوفرة عنها رغم أن الناس الذين كانوا يشتركون فيها بالحديث عبر وسائل التواصل الإجتماعي لم يكن يزيد عددهم كثيراً على بضع مئات،، ويبدو أن الكثيرين منهم لا يرغبون لحد هذا الوقت بالكشف عن موقفهم من هذه الدعوة والإعلان عنه فيما إذا كانوا سيشاركون فيها فعلاً (كمنتحرين) أو أنهم سيظلون مؤيدين وداعين فقط لأن ينفذها آخرون غيرهم،، نيابة عنهم!! ثم أثار نقطة تساؤل مهمة وهي:

فيما إذا كانت هذه الدعوة تمثل موقفاً إحتجاجياً على أوضاع معيشة الناس،، أم أنها تقصد فعلاً إحراج الكبار من الأغنياء عندما تتوقف ماكينة أعمالهم كلياً أو جزئياً...؟

وكانت هنالك أيضاً نقطة التجمع الذي كانت قد دعت له الجهة الداعية لهذه الدعوة والتي لم تفصح عن نفسها لحد الآن،، تلك

الجهة التي أشارت إلى لقاء مفترض في موقع في أطراف المدينة الكبيرة، وهو أكبر الحدائق العامة التي يرتادها الناس للتنزه فيها، حيث يقومون بنشاطاتهم الرياضية كالركض والمشي أو الجلوس بإسترخاء،، هذا اللقاء الذي لم يتحقق منه أكثر من أنه كان من الملاحظ أن المنطقة المقصودة قد شهدت زحماً كبيراً وغير معتاد من الناس في ذلك اليوم، ولكن لم يكن معروفاً إذا ما كان أو لائك الناس هم ممن سيشاركون فعلاً بهذه الدعوة، أم أن الكثيرين منهم كانوا ممن يدفعهم الفضول لمشاهدة ما يمكن أن يحدث؟؟

ثم بدأ بتقديم المشاركين في هذا اللقاء وذكر أسماءهم التي لم يكن هو نفسه يعرف البعض منها مما اضطره لقرائنها من القائمة التي يحملها بيده، وبعد أن إنتهى من القائمة عاد ليتحدث عن موضوع الإنتحار فقال إنه سيطلب من ضيف اللقاء الإختصاصي في الطب النفسي أن يلقي الضوء على عملية الإنتحار بشكل عام، ماهي أشكاله وماهي أسبابه ودوافعه، فأجاب الضيف المختص بالطب النفسي بالقول:

- إن الإنتحار سلوك يلجأ إليه الإنسان عندما تنتابه نوبات من الخلل النفسي كأن تكون الكآبة أو الإحباط الشديد، أو الشعور باليأس التام، أو عندما يقع تحت تأثير عقاير

تستخدم لعلاج أمراض نفسية يمكن أن يكون أحد تأثيراتها الجانبية أن تدفع من استخدامها للإنتحار، وفي كل الحالات هذه لا بد لمن ينتحر أن يكون قد وقع تحت تأثير أحد هذه العوامل أو الحالات أو أكثر من عامل في نفس الوقت،، كما أنها من الواضح أنها جميعها لا تنطبق على مالدينا اليوم من حالة هذه (الدعوة) العامة لإنتحار جماعي يقوم به أناس لا يبدو عليهم أنهم مصابون بشيء مما يدعو للإنتحار حسب رأي الطب النفسي،، غير أنه من المحتمل، وهذا هو المرجح، أنهم قد يكونوا مصابين بإحباط نفسي شديد،، وهذا ما يمكن أن يكون في الغالب ظاهرة مألوفة تنتشر هي والكآبة بين الناس..

فكان تعقيب مضيف اللقاء بعد أن قاطعه:

- هل يعني هذا أننا أمام سبب جديد يضاف للأسباب التي يعرفها الطب النفسي عن الإنتحار؟؟
- لا أستطيع أن أقول ذلك، لأننا لا نملك إلا القليل من المعلومات عن الأشخاص الداعين لهذا أو المشاركين فيه، أو على أقل تقدير أنا لا أستطيع أن أقول أنني متأكد من معلوماتي عن سبب هذه الدعوة الجماعية للإنتحار، ويلزمنا معرفة الكثير من التفاصيل قبل أن نستطيع أن نعطيها تفسيراً طبياً نفسياً..

- لنسأل إذاً إختصاصيي المعلومات حول مدى معرفتهم بهذه الدعوة،، والسؤال موجه لكل من لديه معلومة أكيدة عن هذه الدعوة...

هنا إنبرى أحد الإعلاميين من المتحالفين مع الحزب الحاكم الذي يمثل معظم أصحاب رؤوس الأموال في البلد ليقول:

- نحن لا نعرف غير القليل جداً،، وغير الموثق عن الذين كانوا نشطاء ومتحمسين لهذه الدعوة، وهي في الغالب قد إستطاعت أن تتشكل من خلال إستخدام وسائل التواصل الإجتماعي التي يحركها الشباب في الغالب،، وقد يدفع هؤلاء الشباب دوافع كثيرة... قد يكون أغلبها دوافع فوضوية وليست مستندة للواقع الذي نعيشه....

قاطعته إعلامي من المعارضين للحكومة بقوله:

- هذا إختزال للحقيقة،، فمن الواضح أن هؤلاء الناس يعانون من أوضاع إقتصادية صعبة أوصلتهم إلى أوضاع إجتماعية أصعب مما أوجد فيهم هذا الشعور بالإحباط لدرجة إختيارهم الخيار الأصعب وهو (إنهاء الحياة) فنحن لا يجب أن نُسطّح الأمور والأحداث دائماً، ونتركها بدون إهتمام لأنها لا تعيننا مباشرة، حتى نتفاجأ بها يوماً عندما تكون ذات وقع في حياتنا لا نستطيع

الخلاص من كوابيسه.. وهناك سؤال مهم يجب أن يسأله كل واحد منا وهو:

"لماذا هذه المرّة لم يكن الإحتجاج إضراباً عاماً؟"

وأعتقد أنني بإمكانني المساهمة في الإجابة مع عدم الإستغناء عن إجابات الآخرين،، وذلك أني أعتقد أن إختيار الإنتحار على الإضراب جاء نتيجة أن أصحاب هذه الدعوة يريدون إيصال رسالة أقوى هذه المرّة،، رسالة مفادها هو أنهم لا يريدون المساومة هذه المرّة على قضية رفع أجور قد لا تناسب مستوى الإرتفاع في تكاليف الحياة،، ومن ثم العودة من جديد بالحاجة لإضراب آخر قد يوتي نتيجة أو قد لا يوتي شيئاً؟؟

هنا يقاطعه مضيف اللقاء بسؤاله:

- هذا تساؤل واقعي ومنطقي ربما قد فات الكثيرين منا الإلتباه له،، ولكن مالذي تعرفه عن هذه الدعوة ومن يدعون لها... وهل هذه الدعوة ستعني شيوع ثقافة الإنتحار في مجتمعنا وربما في مجتمعات العالم؟
- أنا أعرف أن فيها طلبة متفوقين في دراساتهم، ينحدرون من عوائل تعمل في الأعمال الخدمية البسيطة التي

يحتاجها الجميع، لكنهم غير مطمئنين أنهم سيستطيعون إكمال دراستهم، ولا هم قادرين على توفير الخدمات الصحية الضرورية لأنفسهم ولا لعوائلهم،، وبعيداً عن من يؤيدون هذه الدعوة للإنتحار،،

فأنا أعرف الكثيرين ممن يعملون ولا يستطيعون توفير ما يستطيعون به التقدم لشراء منزل بسيط،،

أعرف منهم من يعيش على إعانات البطالة لما يقرب من سنة أو أكثر،، ربما ما نحتاجه في مثل هذا الوقت هو الدخول في شوارع المدينة الداخلية التي لا نفكر في دخولها ولا نعرف ما يجري فيها...

قد يقول قائل بان هؤلاء الشباب الطموحين مفتوح لهم المجال والطريق للوصول إلى مواقع متقدمة في الحياة العملية مما يجعلهم ربما من قيادات البلد،،

ولكن من يقول هذا عليه ان لا ينسى أنه ما من أحد بلغ درجة أو موقعاً مميزاً بدون أن يُقدّم له إسناد ودعم من جهة قوية مالياً أو سياسياً،،

فالأحزاب والشركات الكبرى لا بد من دعمها وإسنادها لمن يريد أن يبلغ مرتبة عالية في مستقبله،،،

وبدونها عليه أن لا يحلم بذلك!!

إلا إذا كان ممن بيتكرون إبتكاراً تفتح له شهية المستثمرين الكبار، أو الشركات المتسلطة المتسيدة

## والمحركة لإقتصاديات العالم!!

هنا تدخل أحد السياسيين من الحزب الحاكم ليرد عليه:

- هذه حالة، أقصد حالة الركود الإقتصادي أو ما يشبهه، تكاد تعمّ العالم كله وليست مقتصرة على بلدنا، فالحكومة قد ورثت ثقلاً كبيراً من سابقتها، والإقتصاد في جميع بلدان العالم يعاني من الصعوبات بأشكال ودرجات مختلفة، ونحن كلنا نعاني نتيجة معاناة هذا الإقتصاد...

تدخل المضيف متسائلاً:

- وماذي تغير بين الحكومة الحالية والحكومة التي سبقتها؟

البطالة مازالت نفسها، والرعاية الصحية لم يتغير فيها شيء، بل يقول البعض أنها أصبحت أكثر صعوبة لمن يمتلك التأمين ولمن لا يمتلكه، تكاليف الرعاية الصحية وأجور الأطباء والمستشفيات وكلفة الأدوية تزداد بتسارع، والتأمين بأشكاله وبصورة عامة أصبح بعيد المنال عن إمكانية الكثيرين من الناس، خصوصاً الكبار بالسن، والحكومة تعد بالكثير من الأمور ولا تنفذ وعودها، وهناك شعور بين الناس أن الدولة تصرف أموالاً طائلة على أمور خارجية لا يستفيد منها المواطن فائدة واضحة، بل هي تصب في صالح الشركات

الكبرى، ومعظم الشركات الكبرى تستثمر الآن في بلدان بعيدة والبطالة تزداد داخل البلد،،  
لنعد لموضوعنا عن الداعين للانتحار، لنسأل كيف يمكن أن نوقف مثل هذه الدعوة للمحافظة على أرواح الناس الذين ينوون القيام بها، والسؤال موجه لكم جميعاً،

فينبري أحد الإعلاميين المؤيدين للحكومة ليقول:

● إنه من الأكيد أن المسألة لها جذور عميقة لا يمكننا أن نتغافل عنها أو ننكرها، ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن أن تكون حلاً لمشكلة الطبقة العاملة،  
ولذا فإنه من المهم جداً أن لا نعطيها ما هو أكبر من حجمها من أهمية، ونعتبر أنها ستكون النهاية وأن الجميع سيختارون هذه النهاية...

فيقاطعه الإعلامي المعارض "المتحمس" بقوله:

● إنه هو هذا الذي نخاف منه!! نخاف من الحكومات التي تصرّ أن لا تتحرك قبل وقوع الكوارث،  
وأعني الكوارث التي نتسبب بها نحن مثل كوارث تأثيرنا على البيئة من سوء استخدامنا لمفردات الطاقة، وهذه الدعوة التي ستكون كارثة تسبق كوارث ستتبعها إن لم نعمل على معرفة أسبابها وأن نكون جادّين في إيجاد حلول لها..

ويتدخل مضيف اللقاء هنا ليسأل رجل الدين المسيحي عن ما يراه ضرورياً للمساهمة في موقف لإيقاف مثل هذه الدعوة، خصوصاً وأن الأديان لا تقرّ قتل النفس..؟

فيجيبه (الأب) بقوله:

- هذه الحالة ليست غريبة، خصوصاً عندما تتحول حياتنا لمسرح وسوق من الحاجات المادية، وفراغ تام من الروحانيات، وإبتعاد شاسع عن (الرب) وعدم الإعتبار لضرورة أن نكون قريبين منه، وأن لا نسلك سلوكاً لم يوصنا به، فالربّ أوصانا أن نحب الآخرين وأن لا ننظر إلى ما ينعمون به إن كنا قد حرّمنا من شيء في حياتنا، فحرماننا هذا لا يجب أن ننظر له على أنه سيبقى دائماً، بل هو سيزول مثلما تزول كل المساويء والعقبات والصعاب في حياتنا !....!

يعود الإعلامي المعارض ليقول بنبرة إستنكار واضحة:

- ولكن يا (أبانا) هؤلاء الناس لا يطلبون أشياء من أصناف الترف، إنهم يطلبون ضمان التعليم والرعاية الصحية،

وأعتقد أنك تقرّ بأنها من حقهم، وأنهم يستحقون أن لا يكون أولادهم عرضة للفقر الذي يدفعهم لينزلقوا إلى إرتكاب الجرائم،،،  
ثم أنا لم أعرف كم هي ولا ما هي المساوئ والمصاعب التي لابد أنها ستزول من حياتنا؟؟  
وماذا عن من يولدون في حضن المساوئ والمصاعب ويعيشونها حتى مماتهم،،  
ناهيك عن من يولدون معوقين يحتاجون لمراعاة خاصة طوال حياتهم.....؟

هنا بادر رجل الدين الشيعي ليتدخل ويقول:

- نعم إن كثيراً مما تقوله صحيح،، ولكن (الأب) الفاضل كان يقصد أن الإنسان لا يجب أن يفقد الأمل،،  
وأن عليه أن يعلم بأن الله يقسم الأرزاق بين الناس بإرادته لكي تسير الحياة من خلال المنفعة المتبادلة، لذا فإن الإعتراض على النظام غير الصالح لا يتم بالإنتحار، بل أنه يتم بالإعتراض عليه بالوسيلة السلمية أولاً،،  
وإن لم تنفع،،  
فإنه يمكن بعدها للإنسان أن يثور كما ثار إمامنا (الحسين) على إنحراف وظلم الدولة!!

هنا يأتي دور رجل الدين السنّي ليشارك بعد أن إقترح رجل الدين الشيعي النقاش،، فيقول بدون مقدّمات وكأنه في محاضرة دعوة ودرس ديني عقائدي فقهّي:

- هنالك الكثير من الدروس التي يمكن أن نستقيها من الدين الإسلامي في دولته، حيث يقيم العدل فيها ويجعل للمواطن صوتاً مسموعاً لدى الحاكم المسلم،،  
مهما كانت حالة هذا المواطن المسلم ومكانته في المجتمع المسلم،،!!  
ولنا في دولة الإسلام في الخلافة الراشدة ما يمكن أن يقيم العدل في العالم،،  
وبدون الوقوع في معصية الخالق...!!

يقاطعه المضيف بقوله:

- عفواً للمقاطعة، ولكن معنا عبر الهاتف دكتور الفيزياء الكونية الذي نودّ مشاركته بإعتباره يمثل الإتجاه المقابل للإتجاهات الإيمانية الروحية،، تفضل يا دكتور:
- شكراً لإتاحة الفرصة لي للمشاركة وللتعقيب،، أنا لن أستطيع طرح طرق لمعالجة هذا الموقف لأنّي أعرف أن هذا ليس من إختصاصي فالمشكلة ليست واحدة المنشأ، بل هي عميقة ومن إختصاص مجموعة من

الإختصاصيين في الإقتصاد والعلوم الإنسانية والإجتماعية، ولكني لدي أسئلة للسادة المحترمين الأفاضل الذين يمثلون الجانب الروحي الإيماني في طرحهم لطرق علاج مثل هذه المشكلة وسؤالي الأول للأب الفاضل هو:

هل يستطيع بالعلاج الروحي تقديم خدمات صحية لعائلة لا تمتلك ضماناً صحياً أو أن معيها عاطل عن العمل لمدة قد تزيد عن سنة،؟؟

وللشيخ الشيعي أسأله إن كان يريد لهؤلاء الناس أن يثوروا كما ثار إمامه (الحسين)،؟؟

وأنا على قدر علمي أن الناس من أتباع (الحسين) في بلاد (الحسين) التي هي العراق حالياً، هؤلاء الناس لم يستطيعوا أن يقوموا بثورة على حكوماتهم متمثلين بما فعله الحسين،،

وإلى أين يمكن أن توصلهم مثل ثورة الحسين مقابل عنف الدول وقمعها في أنحاء كثيرة من العالم؟ والأخبار تقول أن أتباع الحسين من الشيعة هم من يحكمون العراق الآن،،،!!

ولكنهم لم يخدموا حتى أتباعهم،!!  
بل على العكس يبدو أنهم قد أوصلوا بلدهم لحد الإفلاس  
نتيجة السرقات والأموال التي إستحوذوا عليها،!!  
وهنا أدعو الشيخ أن يقدم نصيحته الروحانية لمن  
يحكمون بلده الأول ويرشدهم قبل غيرهم للمثل والقيم  
التي ثار من أجلها الحسين...!!

وللشيخ السنّي أقول له،  
بل أتوسل إليه أن يلقي محاضرتة على الشباب الذين  
يدعونهم الشيوخ في مراكز العبادة، من خلال ترغيبهم  
بالنساء اللواتي ينتظرنهم في مواقع معارك دولتهم،  
وأولئك الحوريات اللواتي ينتظرنهم في العالم الآخر في  
جنتهم الموعودة،،  
ولماذا لا يقدم النصح لهم وهم ينوون الإنتحار بأبشع  
الطرق لكي يقتلوا معهم مئات بل آلاف من الضحايا  
المساكين،،

ألا يكفيننا هذا النفاق العلني؟؟؟

ولا أنسى أن أكرر نصيحتي للأب في أن يعيد محاضرة  
الأخلاق على الكثيرين من أتباع الكنيسة ممن تسببوا في

تدمير حياة المئات من الأطفال الذين تعرضوا للعبث  
الجنسي من قبل هؤلاء القائمين على رعاية معابد  
الرب!!!

هنا يردّ رجل الدين السنّي بحدّة وإنزعاج قائلاً:

• هؤلاء لا يمثلون الدين الإسلامي الحنيف المعروف  
برحمته وشفقته بالناس، وهذه الدعاوى تُثار من قبلكم  
أنتم الذين لا تؤمنون بخالق لهذا الكون....

ويلتحق به رجل الدين الشيعي مؤيداً له بإيماءة من رأسه ويقول  
بأن هؤلاء هم شباب مغرر بهم،،،،، ليس إلا،!!

وهنا يرفع أحد الحضور من عموم الناس الحاضرين يده طالباً  
المداخلة، فيسمح له مضيف اللقاء مُرحباً بمشاركته ولتهدئة  
النقاش الحاد بين الضيوف المتحدثين، فينهض الرجل وكان  
على ما يبدو في منتصف العمر، ليقول:

• أنا يجب أن أعذر في بداية كلامي لأنني أعلم أنه  
سيكون جارحاً لعدد من الحضور هنا، ولكنني لا  
أستطيع تجنب ذكر ما أريد قوله هنا لأنني لا أريد أن  
أزيد على الكلام الذي لا فائدة ولا نتيجة تُرتجى منه،

كلاماً زائداً عن الحاجة:

إن كل المطروح كحلول لمثل هذه المشكلة الكبيرة التي  
أعتقد أنها ستتبعها مشكلات أكبر إن لم نستطع الوصول  
لحلها وهي في بدايتها،،

لن يوصلنا لشيء عملياً،،

فأقول أولاً للأب إذا كان يعتقد أن هؤلاء الناس يحتاجون  
لدروس في حب (الرب) لنا وحبنا له،،

وكيف يجب أن يكون هذا الحب،،؟؟

أسأل الأب أين هي فائدة هذه الدروس التي من المفترض  
أن الآباء الآخرين الذين كانوا وربما ما يزال البعض  
منهم يعبث جنسياً مع أطفال أوقعهم حظهم العاثر أن  
يكونوا لفترة من حياتهم تحت رعاية هؤلاء لسبب أو  
آخر،،

وللسيد رجل الدين الشيعي أقول:

أين هم الشيعة في العراق من ثورة (الحسين)؟؟

ولماذا لا يثورون على مجموعة رجال وأدعياء الدين  
الذين أتاحت لهم ظروف أرادها السياسيون لدينا بأن  
يتسلموا الحكم ليحيلوا العراق من بلد ذي قدرات مادية  
كبيرة إلى بلد يستجدي بعد أن سرق رجال الأحزاب  
الدينية كل إمكانياته،،،،

وللسيد رجل الدين السنّي أسأله:

لماذا لا يقدم الموعدة الدينية للدولة الإسلامية التي تستعبد النساء لمختلف الأسباب والأغراض وتحكم بقطع الرؤوس على كل من لا يعجبها سلوكه ورأيه فيها،؟ ولماذا لا يقدم الوعظ للدول التي تحمي أمثال هؤلاء وتقدم لهم الدعم،؟

هنا قاطعه رجال الدين الثلاثة بقولهم كلهم أن هذا خلط للأوراق لا يصح قوله هنا،، وزاد رجل الدين السنّي مرة أخرى بأن هؤلاء لا يمثلون الإسلام،، وهنا قام أحد الحضور وبشكل مفاجئ وبدون أن يستأذن من مضيف الحلقة،، ليقول بإنفعال:

● عفواً،، عفواً، لقد أشبعتمونا من هذه الأقاويل أن هؤلاء لا يمثلون الإسلام،، وربما نفس الشيء يقوله (الأب) أن أولئك الرهبان لا يمثلون المسيح (الرب)،، أريد أن أقول شيئاً لا بد لي من قوله: أنا مسلم ولا أعرف لحد الآن من هو الذي يمثل الإسلام أو من يعتقدون أنهم يمثلون الإسلام،؟؟ وأعتقد أن هنالك الملايين من هم مثلي يعتقدون نفس ما

أعتقده،،

وربما حتى من المسيحيين، ولكن مشكلتهم أهون من  
مشكلتنا نحن المسلمين،،

فنحن قد هاجرنا من بلادنا وتركنا كل شئى واليوم نرى  
أمثال هؤلاء الوحوش الذين تقولون أنهم لا يمثلون  
الإسلام قد لحقونا إلى هذه الديار التي كنا ننتظر منها أن  
تكون ملاذنا بعيداً عن قذاراتهم ووحشيتهم،،

لقد وقعنا بين فكي كماشة الآن!!

بين من يكرهنا من أبناء هذه المجتمعات التي لجأنا إليها،  
وبين من تبعونا هنا لكي يحرقوا كل آمالنا في بلاد نعيش  
فيها بسلام،،

لقد مررنا بفترة طويلة لكي يتم التدقيق من قبل الجهات  
الأمنية في طلباتنا للهجرة أو اللجوء،،  
لمعرفة سوابقنا وتأريخنا قبل أن يتم قبولنا كمهاجرين  
شرعيين،،

وإنتظرنا لسنوات قبل أن يتم قبولنا كمهاجرين بسبب هذا  
التدقيق الأمني،،

واليوم نرى أن الآلاف من المجرمين ومن أصحاب  
السوابق ومن حاملي الأفكار الدينية المتشددة يتبعونا  
ويتم قبولهم بكل بساطة وسهولة ويقدم لهم العون،،  
كل العون لكي يزيديا في دمارنا!!

وكل هذا تحت مسميات لا نستطيع أن نفهم معناها الحقيقي مثل مسمى (حقوق الإنسان) التي تحفظ في الواقع ما هو في حقيقته في صالح المجرمين،،  
بينما لا تعبأ بحقوق الأبرياء الذين يقعون في النهاية تحت طائلة وعدوان هؤلاء المجرمين،،  
فأي عدالة يمكن أن يتحدث عنها من يمثلون الحكومات من السياسيين المنتفعين؟؟

أنا لا أتحدث عن نفسي وعن بلدي الجديد هنا فقط لأن الأمر نفسه يحدث في كل البلدان التي تستقبل اللاجئين،،  
هل نستطيع القول أن هذه البلدان التي تقبل اللاجئين أياً كانوا، أنها تريد منهم أن يكونوا عمالة رخيصة؟؟  
هذه هي العمالة الرخيصة التي ستدفع أبناءكم للإنتحار،  
لأنهم لن يجدوا عملاً يوفر لهم أبسط متطلبات حياتهم التي إعتادوا أن يعيشونها،،

في الوقت الذي نرى أن العاملين في السياسة يبقون محافظين على وسائل كسبهم من مهتهم السياسية حتى بعد أن يتم إنهاء خدماتهم بالإنخابات الجديدة أو بغيرها،،،

سياسيون يتقاضون ملايين الدولارات على الكلام الذي يسمونه محاضرات،،،

محاضرات تافهة لا قيمة لها،  
لكنها تمثل رشوة لهم لكي يمهدوا السبيل للشركات التي  
تسلك كل الطرق غير القانونية والمتخفية لضمان  
مصالحها التي لا يقرّها القانون،،  
هذا لا يمكن أن نحصره ببلدنا ولكنه يظهر في بلدنا بأبشع  
صوره،،

وهو في الحقيقة السبب الأساس لتبرير الفساد الذي يشيع  
في دول العالم الأخرى والذي تتم مباركته هنا لدينا ويتم  
توفير الحماية للنظم الفاسدة،،

نحن المهاجرون إلى هذا العالم الجديد،، قد عانينا ما فيه  
الكفاية وأكثر عندما عشنا مطلع عمرنا وقضينا طفولتنا  
وشبابنا هناك في تلك الدول،،  
وعندما طفح بنا الكيل قررنا أن نهاجر للعالم الجديد،،  
أماً في أن نجد فعلاً مقاييس عالم متطور يمكن أن توفر  
لنا الجو الجديد لكي نندمج في هذا العالم ونفيده ونستفيد  
منه،،

لكننا فوجئنا بأننا نتساوى مع من جاؤوا لغرض تدمير  
هذا العالم،،

ولا يمكن لأي منا أن يتقبل الرأي الذي يقول أن دول  
العالم الجديد التي نشكرها على قبولها لنا كمنتمين للوطن

الجديد، لا نستطيع قبول الإدعاء أنها لا تستطيع التمييز بين من جاء بكل صدق لكي يندمج بالعالم الجديد وبين من جاء بقصد تدميره،،، كل الأمور واضحة حتى للسادجين والبسطاء في تفكيرهم،،،

ونحن أصبحنا في معاناة من نوع جديد،،!!

هنا قاطعه مضيف اللقاء بقوله:

- هل ترى أن الحكومة لم تدرك مستوى مسؤوليتها تجاه الناس وما يعانونه من بطالة ترتفع نسبتها تدريجياً، وبدون أن نستطيع رؤية ضوء في آخر النفق، في الوقت الذي يقول من يدافعون عن الحكومة أن مشكلة البطالة هي جزء من مشكلة الإقتصاد العامة عالمياً،

وأعتقد أن الوقت قد حان لسؤال (الراباي) هذا السؤال لكي نعرف رأيه بالموضوع...

أجاب (الراباي):

- هي بالتأكيد مشكلة نشترك بها جميعنا، من الحكومة إلى الناس والشركات، وهي ناتجة من حالة الإنقسام الحاصل بين الفهم المختلف لكيفية إدارة حياتنا مابين قدراتنا وقدرات الحكومة على حل المشكلة!!

- لم أفهم القصد بوضوح مما تقصده، سيدي (الراباي)، والأهم من هذا هل تعتقد أنه من الممكن التوصل لحل لهذه المسألة الآن وربما منع حدوثها أو ما يشبهها مستقبلاً؟؟
- لا توجد مشكلة ليس لها حل عندما نريد حلّها، وعندما تتوفر الإرادة والرغبة في حلّها، وهذا ما أستطيع في لقائنا المحدود هذا قوله!!
- حسنٌ،، بقي لنا أن نأمل في نهاية لقاءنا هذا أن نعرف أكثر عن تطورات هذه الدعوة مع أملنا بأن يعيد النظر الداعون لها وجعلها جزءاً من كابوس يمرّ علينا ولا نستعيده يوماً آخر....

\*\*\*\*\*

## "جون"،،،، ومراجعة مع النفس

ظلّ جون صامتاً لا يرغب في الكلام والتعليق على آخر ما قالته "كريستين"،، حتى أحضرت له بيدها قرح القهوة،، وطلبت منه مرة أخرى أن يساعدها في التفكير بهدوء وللحديث عن هؤلاء الذين جاؤوا بهذه الدعوة التي لم تكن تخطر في بال أحد، مما جعلها تهز حياتهما وتثير فيها زوابعاً وأفكاراً خطيرة لم يكن لهما عهد بها،، فقالت له:

• "جون"،،،، دعنا نفكر بجدية بأنفسنا وبأطفالنا،، بدل أن نكون تابعين لمن يمكن أن يقودنا لما لا نعرف عنه شيئاً ولا لماذا نترك له الحق أن يقودنا إلى المجهول الذي لا رجعة منه؟،،، وأعتقد أنك يمكنك أن تفكر أفضل مما يفكر نيابة عنك أي شخص آخر،، مهما كانت درجة علاقتنا به،،

لماذا علينا أن نتخلى عن حياتنا،،؟؟

- ألا يوجد طريق آخر،،،؟؟
- أنت تعلمين تماماً أنني أعيش حالة من الإحباط منذ ما يقرب من سنة،،
- كم من الممكن أن أعيش هكذا؟
- هل بمقدورك أن تتصورى ذلك،،،؟؟
- لست وحدك تعيش هذا الوضع وهذا الإحباط،،
- أنا أعيشه معك،، أم أنت لا ترى أنني هكذا؟؟
- أنا أعلم،،، وأنا لا أجبرك على هذه الحياة، ولا أجبرك على التخلي عنها، وما قلته لك قبل يومين كان فقط رأياً يمكنك قبوله أو رفضه،،
- أنا شخصياً أستطيع أن أقول أنني لا أنتظر حياة أفضل من هذه،،
- وهذه الحياة أنا رافض لها لأنها تجعلني أحتقر نفسي ولا أريد أن أعيش مع إحتقار دائم لنفسي،،
- وحياة ليس لي فيها شيء،،،
- بل لا أعتقد أنه من الممكن أن يكون لي فيها شيء!!
- سيكون يوم غد يوماً لتجمع سيأتي فيه الكثيرون ممن يشعرون مثل ما أشعر،، وربما بدرجات أكثر سوءاً بكثير من شعوري تجاه هذه الحياة،، وسأرى ماذا يمكن أن يتولد في نفسي من بعد ذلك اللقاء،،، وإن كنت ترغبين في مرافقتي للقاء،،،، حيث لا يستوجب أن يكون كلّ

الحاضرين هم ممن يؤيدون هذه الدعوة، فأنا أعلم أنه سيكون هنالك الكثيرين ممن يقتنصون الأخبار للإعلام، وكذلك الكثيرين ممن يحبون التفرج على آلام الآخرين، أنت لست واحدة من أولئك،،  
بل أنت ممن كتب عليهم سوء طالعهم أن يعانون نتيجة حبهم للآخرين،،  
أعلم ذلك، وأقوله لك، وأشركك عليه،،  
وكم وددت أن لا تكون هذه النهاية كما هي عليه الآن من ثقل وعممة...!

ظلت "كريستين" صامته وهي تستمع لكلامه مُطرقة برأسها تنظر للأرض وهي تسند رأسها براحتي يديها، حتى جاءها صوت رنين التلفون فقامت لترى من المتصل وكانت أمها على الخط، فأجابتها:

- أهلاً أُمي،، كيف هم الأولاد معك ومع أبي؟ أرجو أن لا يكونا قد سببا لكما المتاعب؟؟
- كلا... بل على العكس أنا وأبوك مستأنسان بهما فهما يملآن علينا البيت بعد أن كنا كما تعلمين نعيش الصمت المُمَلِّ،،
- حمداً لله أنهما لم يتعباكما،، وهل تعتقدن أنهما فرحان بوجودهما معك،، خصوصاً "تومي"،، هل يفقدني

كثيراً؟

- نعم،، بالتأكيد هو يأتي على ذكرك ويتمنى لو تكوني معه هنا،، لكنني أقول له أنك لديك عمل للشركة يجب أن تنتهيه في البيت،،، لكنني يجب أن أقول لك بأنه على علم بأن المدرسة ليست في وضع طبيعي،،
- نعم بالضبط، وأنا أعتقد أن ذلك سيستمر لليومين القادمين،، وأنا يا أمي في حالة نفسية متعبة وكنت أود أن أطلب منك، إن كان ممكناً، أن يظلّ معك اليومين القادمين،، وبإمكاني أن أحضر لهما ملابس صباح الغد أنا و"جون" قبل ذهابي للعمل،، لأنه يودّ هو أيضاً رؤيتهما،،،
- لا عليك يا "كريستين" أنا سيكون من دواعي سروري أن يبقىا معي وأنت تعلمين ذلك،،،
- شكراً لك يا أمي وسأكون غداً صباحاً معك،، أعني ساتي لزيارتك وأجلب لهما ملابس لليومين القادمين،، سأراك غداً يا أمي،،

إنتهت مكالمة "كريستين" مع أمّها وشعرت براحة نسبية لم يعرف سببها "جون" الذي بادر بسؤالها:

- لماذا طلبت منها أن يبقى الأطفال معها لليومين القادمين، كان بالإمكان أن تجلبهم الليلة وأنا سأكون معهم غداً هنا

في البيت،،

- أنت في وضع غير مناسب لكي تتحمل طلبات الأطفال وإزعاجهم،، كما أنني سأكون معك لأحضر اللقاء غداً، ولن يكون مناسباً أن أطلب من أمي مرة أخرى أن تعني بالأطفال غداً لأنني لا أريد أن أقول لها أننا سنحضر لقاءً من هذا النوع!
- وماذا يمكنك أن تقولي لأمك إذا ما تساءلت لماذا لا يبقى الأطفال معي غداً في البيت وأنا العاطل عن العمل؟؟
- لأنني قلت لها مسبقاً أنك الآن في طور بحث عن أكثر من فرصة للعمل، وأرجوا أن يكون هذا كافياً، فقد تقبلته أمي ولا أنتظر منك أن تغير ما قد سبق وقلته لها، كما أنها لن تسألني مثل هذا السؤال وسنذهب صباح الغد لرؤية الأولاد والبقاء معهم لنصف ساعة،، بعدها نغادر سوياً ونترك الأطفال مع أمي،، ولنا أمل أنهم لن يطيلوا الإصرار على أن نظل معهم،،
- لنا أمل ذلك،،

\*\*\*\*\*

## الشارع

في شوارع المدينة المزدهمة، كانت الحركة إعتيادية في أغلب وجوها، حركة السيارات والناس في الشوارع، والمحلات المفتوحة كلها، ربما ماعدا البعض من أكشاك بيع الطعام السريع والبعض من المحلات التجارية البسيطة في مناطق التسوق المفتوحة (الپلازا)، وهنا يظهر بين موقع وآخر بعض المراسلين الصحفيين العاملين في قنوات الإعلام الكثيرة، وهم يحملون مايكروفونات أجهزة النقل المباشر أو النقل المُسجّل ويظهر معهم المصورون الذين يحملون الكاميرات ويتبعون هؤلاء الصحفيين الباحثين عن يمكنهم أن يوقفوهم لدقائق للحديث معهم وسؤالهم عن ما يعرفونه عن هذه الدعوة الغربية، وكم هم مهتمون بها،

وكما هي العادة فإن الصحافة أصبحت تهتم بالخبر ليس لأهميته

ولكن لأنه أصبح يشكل جزءاً مهماً من العمل الذي يقوم به الصحفيون والذين تكافئهم قنواتهم على القيام به عندما يحققون ما يسمونه سبقاً صحفياً يتناسب مع توجه القناة الإعلامية التي يعملون فيها، رغم أنهم في البعض من الأحيان لا يأتيهم من جهودهم وإجتهاداتهم غير إستنكار المسؤولين عن القناة، وإعتبار أن تصرفهم ليس بإتجاه سياسة القناة وإنما بالإتجاه الخاطئ،

ولذا يكون مصير الصحفي في معظم هذه الحالات هو الطرد، وبدون أي إنذار مسبق!!

وقد كانت البعض من التجارب شاهداً على بؤس الصحفيين الذين يوقعون أنفسهم في مثل هذه المأزق نتيجة لعدم حذرهم، ولحرصهم على الفعل الجريء وعدم مراعاة الدقة والحقيقة والخبر الصحيح، بل في معظم الأحيان ما يدفعهم هو فقط عنصر الإثارة التي يمكن أن يسببها الخبر عند صياغته بطريقة مثيرة، أو في الكثير من الأحيان تحويره أو شحنه بما ليس منه!!

إنه من غير المعروف أي قوانين تخضع لها خدمة الصحفيين هؤلاء، فقد وقع الكثير من الصحفيين المشاهير ضحايا لتماديمهم في جرأة توجهاتهم وإجتهاداتهم الشخصية مما جعلهم في موقع الرمي والنقد من قبل مؤسسات الدولة أو الناس بصورة عامة وكانت النتيجة سقوط الصحفي في الفخ الذي

تتصبه الأحداث لمن لا يتوخى الحذر،  
ومن ثم يقع في مصيدة الفخ الذي لا يرحم!

إن الصحافة والإعلام محرّكان للأحداث والأفعال، بشكل لم  
تعهد له البشرية مثيلاً من قبل أن يدخل العالم الربع الأخير من  
القرن العشرين!

لقد أصبح العالم كله أسيراً للإعلام بكل نواياه السيئة والتي  
تخلوا في الغالب من أي توجه حسن...!!

من هنا ظهرت مقولة أن الصحافة هي السلطة الرابعة،، وإذا  
ما استطاع العالم أن يتعدى القرن الواحد والعشرين، قد تصبح  
الصحافة السلطة الثانية بعد السلطة التنفيذية، عندما لا يعود  
هناك مبرر ولا جدوى من وجود السلطة التشريعية والسلطة  
القضائية...!!

لم يعد شيئ في هذا العالم يصعب تصديق حدوثه،،  
بل في الحقيقة لم يعد هنالك شيء يمكن تصديقه...!!

في تقاطع شارعين رئيسيين وسط زحمة المدينة، وقرب إشارة  
المرور وخطوط عبور المشاة، وقف مراسل إحدى القنوات  
الأخبارية الإعلامية، يختار من بين الناس المارين من أمامه  
ليوقفهم ويتحدث إليهم وهو يحمل مايكروفون التسجيل، وكان

يبدو على معظم من أوقفهم أنهم لم يكونوا راغبين في الكلام لا عن هذا الموضوع ولا غيره من الموضوعات التي لا يعرفون بالضبط ماذا يمكن أن يقولوا عنها،

إذ أن هذا الذي يتحدث عنه الناس الآن ما يزال مقدمة يُنتظر أن تُعلن عن حدث أو أحداث يمكن أن تحدث، أو أنها تنتهي بأن تكون مجرد شائعات!!

مثل هذه الحالة من الأكيد أنها تحتاج لمن لديه إستعداد دائم لكي يُدلي بدلوه في أي بئر، ولا يعرف ماذا يمكن أن يخرج دلوه هذا.....؟؟

وهذا غالباً ما لا يتوفر بين الناس الذين لديهم الكثير من المشاغل ولا وقت لهم لكي يُرضوا المراسلين هؤلاء ويشبعوا جوعهم الدائم لما يمكن أن يعتبروه رأي سائد وعام للشارع وحسب ما تشتهيهِ قنواتهم الإعلامية ويشتهيها أصحاب هذه القنوات!!

وما حدث مع واحدة من النساء التي يبدو من هيأتها أنها في بداية أو ربما منتصف السبعينات من العمر، إنما يدل على الضحالة في كثير مما تقوم بهذه هذه القنوات الإعلامية، فقد سألتها المراسل:

● سيدتي،، هل يمكنني أن أتحدث معك لدقيقة،،

فوجئت المرأة بوقوفه فجأة في وجهها وقطعه لطريقها بعد أن

كانت تسير بهمة على قدر ما كان لديها من قابلية وقوة، وهي تحني رأسها نحو الأرض،،  
فتوقفت وهي تحاول أن تتغلب على مفاجأته لها،  
وبعد أن تماكنت نفسها وعلمت أنه صحي من حملة  
للمايكروفون ومصاحبة المصور له والكاميرا التي يحملها على  
كتفه وتوجيهه لعدستها في إتجاهها،،  
أجابته بإبتسامة مجاملة قائلة:

- نعم،، نعم،، وسكنت وهي تنتظر ما لديه ليقوله لها،،
- هل يمكنني أن أسألك عن ما تعرفينه عن هؤلاء الناس  
الذين تتحدث عنهم الأخبار في كل مكان،،  
وهم ينوون القيام بإنتحار جماعي،،
- آ آ آ،، أنا لا أعتقد أن لدي معلومة تستحق أن أذكرها،،  
أنا أسفة،، أن أقول هذا،،  
فقد سمعت حقاً عن هذا الشيء لكنني لم أصدقه،،  
هل هو حقيقي،،؟؟
- نعم،، بالتأكيد هو حقيقي،، ولكن هل تعتقدون أنهم ينوون  
الإنتحار لأنهم ينتمون لمجموعة دينية معينة،؟  
أو أنهم لديهم موقف ضد سياسة الحكومة..؟  
ماذا نتوقعين سبب موقفهم ونيتهم هذه؟
- آ آ آ،، لا أعرف،، في الحقيقة لا أعرف شيئاً يستحق أن  
أقوله....!!

وهكذا حاول المراسل الصحفي أن يقتلع من المرأة المُسِنَّة موقفاً أو رأياً يتوافق مع ما ترغب فيه قناته الإعلامية،، لكنّ صدق الناس وإعتياد غالبيتهم أن لا يتحدثوا في أمر يجهلونه جعل المرأة تقول الصدق مما لم ينفع المراسل ما قالتها،،

ولو أن لقاءه بها لم يكن على الهواء لكانت نتيجته أن تحذف القناة هذا الجزء وتبقي للنشر اللقاءات بأولئك الأشخاص الذين تأتي أجوبتهم متوافقة مع توجهات القناة،،

نعم قد تترك في بعض الأحيان مجالاً بسيطاً لأقوال أخرى مخالفة لكي لا يكون واضحاً التلاعب في المقابلات،،،،

وعلى بعد خطوات من موقع هذا المراسل ومجموعته العاملة معه،، هنالك مراسل صحفي آخر يعمل لدى قناة مضادة وهي من القنوات المؤيدة للحزب الحاكم،، ويقوم مراسلها بشكل أو بآخر بنفس ما يقوم به هذا المراسل الأول،،،،

إلا أنه يبحث عن من يتحدث عن هذه الجماعة بما يصبّ في صالح توجهات الحكومة،،، أو على أقل تقدير ما يبعد الشبهة عن أن الحكومة لها دور في

خلق هذه الحالة التي دعت هؤلاء للتفكير بالانتحار الجماعي نتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية التي كان سببها أسلوب أو منهج الحكومة الإقتصادي وعدم قدرتها على حلّ الأمور التي كان يجب أن توليها أهمية أكبر من أمور أخرى لا علاقة للناس بها ولا تؤثر في حياتهم إيجابياً،

وهكذا كل الحكومات المتعاقبة تعتبر المجتمع والناس حقل تجارب لها،  
ولا ينفع الجمهور غير حظهم القوي عندما تعتزم الحكومة تطبيق قوانين أو مناهج (تجريبية) تخريبية للإقتصاد وللتنمية....!!

وهكذا يستمر الإعلام في إستغلال مثل هذه الأوضاع الطارئة لكي يُخرج بها نفسه من حالة الجمود الذي يصيبه عندما لا يكون هنالك أحداث مثيرة للقلق والخوف لدى الناس،

وبالنتيجة فإن الإعلام في الواقع بعبارة أخرى يَسعد ويفرح لمثل هذه المآسي عندما تحدث،، ويحزن لعدم وقوعها،،  
فترى المراسلين على أهبة الإستعداد دوماً للتطوع لخوض مثل هذه التجارب والسفر وتجشم المصاعب والمخاطر،،  
بحيث أصبحت مهنة الصحافة مهنة مجزية للكثير من

المراسلين الذين يعتاشون على مآسي العالم،  
وأصبحت القنوات الإعلامية تعتاش نوعاً ما على نشاطاتهم...!!

لم يعد ممكناً إلا لمن يمتلك الحس والنباهة العالية والتدقيق فيما يراه ويسمعه لكي يكتشف إنحياز الإعلام،  
وتحزبه وتخذقه مع قوى معينة ترتبط بتوجهات معينة،،  
ولم يعد الإعلام غير مهنة تعتمد الخديعة والتزييف لكسب جمهور الناس وربما دفعهم لمهالكهم!!

يغتتم المراسل فرصة إقتراب شاب في الثلاثينات من عمره يبدو عليه مظهر الجديّة والإهتمام بمظهره،،  
حيث يرتدي بدلة تدل على أنه في الغالب موظف في مكتب أو شركة ويحمل بيده حقيبة يد صغيرة،،  
فيسارع المراسل للتوجّه صوبه حاملاً المايكروفون في يده لكي يدلّل على أنه يرغب في الحديث معه لمقابلة سريعة على الهواء،،

أو ربما مسجلة،، فيلقي التحية المختصرة على الشاب بقوله:

- مرحباً،،، هل يمكنني أن أتحدث معك لدقيقة...؟
- آآآ،،، نعم، لا بأس...
- هل يمكن أن أعرف منك ماذا تعتقد فيما حصل من حولنا أخيراً...؟

- آ آ آ، لا أفهم ماذا تعني بما يحصل من حولنا؟
- أعني أنك لا بد قد سمعت عن هؤلاء المجموعة من الناس الذين يبنون الإنتحار جماعياً لإعتراضهم على أمور كثيرة!
- آ آ آ، نعم،، ماذا بشأنهم،،؟
- لا بد انك تعرف عنهم أكثر مما أعرف أنا، أنت بالتأكيد من مؤسسة صحفية وتأتيكم كل الأخبار،
- نعم،، نحن نعرف بعض الأمور ولكن يبقى للناس معلوماتهم المهمة لأنهم هم يعايشون الواقع ولا بد أنهم يعرفون بعض الناس المشاركين بهذا الإحتجاج والسبب الذي يدفعهم لهذا الإحتجاج!
- ولهذا نحن نحاول أن نوصل ما يعرفه بعض الناس لمجموع أو عموم الناس!!
- نعم،، قد أتفهم هذا ولكن معلوماتي أو معلومات الآخرين ربما تكون مشوشة وليست صحيحة وغير حقيقية، ولن تساهم في معرفة حقيقة الأمور،
- وقد أكون مخطئاً فأنتم تعرفون الطريقة الأمثل لإيصال المعلومة للجمهور والتي أرجوا أن تكون على قدر كبير من الحقيقة....
- نحن،، كما لا بد أنك تعلم أننا نتوخى الحقيقة دوماً...
- هذا ما أرجوه...

- نعم بالتأكيد، ولكن هل يمكنني أن أسأل ما نوع عملك، وإسمح لي أن أسأل هذا السؤال لأن ملاحظتك تبدو لي ذات قيمة وأهمية كبيرة، فالذي يبدو لي أنك في الغالب موظف تنفيذي مسؤول ربما في شركة أو ....
- لا،، أنا في الحقيقة تدريسي في إختصاص إقتصادي في الجامعة، وفي الغالب حديثي معك نابع من أهمية الحقائق وضرورة التأكد منها قبل أن نقوم بتدريسها على أساس أنها حقائق!
- آه،، أستطيع الآن أن أرى أساس القدرة على التفصيل في الأمور،، ولو حاولت مرة أخرى أن أسألك عما يمكن أن تعرفه عن الجمهور الذي ينوي الإنتحار،، هل يمكن أن أسمع شيئاً يمكن أو تودّ أن يعرفه الناس..؟
- أنا في الحقيقة لست متابعاً جيداً للأخبار لإنشغالي بالكثير مما يتعلق بعلمي،، ولدي إعتقاد ربما يكون خاطئاً وهو أن الإعلام يختار البعض من الأمور والأحداث لتسليط الأضواء عليها في حين أنه ربما تكون هنالك أمور أكثر أهمية تحدث في مواقع أخرى،، لا أعلم فقد أكون مخطئاً في إعتقادي هذا،،
- إن الإعلام لا يخلق الأحداث،، وإنما يسعى لتسليط

الأضواء عليها، و..

- نعم أعرف ذلك، ولكنك ترى بوضوح كيف أنه عندما يحدث شيء معين في موقع ما وتتداعى له وسائل الإعلام،  
فإن الحديث والتركيز يصبح كله منصّباً على هذا الحدث،  
وكان العالم في المواقع الأخرى قد توقف عن الحركة،  
أو ربما مات موتاً مؤقتاً،،  
وأنت تعرف ما أعنيه،،  
حتى أنه بالإمكان تصور أننا نتعامل مع أخبار لأحداث تافهة لا قيمة لها عندما لا تحدث مثل هذه الأحداث المثيرة والإستثنائية،،  
وفي الكثير من الأحيان أنا لاحظت أن أجهزة الإعلام تبدأ بإجترار الأحداث القديمة وتحاول قراءة ما فيها ومحاولة تصويرها للناس على أساس أنه من الواجب أن نتخذ الموعظة منها،،  
والتأريخ البشري بطوله يثبت لنا العكس حيث أن البشرية لم تستفد مما مرّت به من أحداث ومآسي،  
وهي دوماً معرضة لأن تمرّ بها مرّات أخرى،  
فالحروب تتكرر والمآسي تتكرر،  
شكرا لك مرة أخرى على الوقت الذي منحتنا إياه

ونتمنى لك أن تكون بعيداً عن الأخبار السيئة،

ينسحب المراسل مودعاً ضيفه العابر التدريسي بعد أن لم يجد  
لديه ما يشبع رغبته في أن يحشد ما يزيد من الشدّ والجذب فيما  
يتعلق بالحدث الذي يسعى لتغطيته،،  
فيتوجه بعيداً بإتجاه شخص آخر لا يعرف كيف ستكون  
مواجهته معه هذه المرة...؟؟

\*\*\*\*\*

## "بوب"، بين الماضي والحاضر

لم يستطع "بوب" أن يصمد كثيراً في مقاومة إنصياعه لأفكاره ومجاراته لأحاسيسه وهواجسه التي باتت تدور في فلك هذه الدعوة، وكيف أنها أثارت فيه شجوناً وذكرياتاً من الماضي، ماضيه هو وما مرّت عليه من أيام، وكيف كانت توجهاته الفكرية، وشيء مهم من بين هذه الأشياء يلحّ عليه وينتظر منه جواباً صريحاً، جواباً بينه وبين نفسه، سؤال لا يعرف لماذا يُصِرّ على ملاحقته وينتظر منه الجواب:

"هل كان سيؤيد هذا الدعوة...؟؟!"  
لو أنها ظهرت قبل أكثر من أربعين عاماً،،،،  
لو أنها ظهرت عندما كان يعيش المعاناة مع الكثير، إن لم يكن

مع جميع تفاصيل حياته؟؟

يا ترى هل له الحق الآن أن يوجه إنتقاده لهؤلاء الذين "يدعون"  
الآخرين ليساندوهم في دعوتهم للإنتحار.....!؟

إنتهى "بوب" بنفسه جانباً ليجلس على كرسي في ركن غرفة  
العائلة، بعد أن إنتهى من تناوله العشاء، وبقي على طاولة  
العشاء بقية أفراد العائلة من زوجته "نيكولا"، وإبنة جوناثان  
وزوجته، وإبنته "جوزيفين"، بقوا جميعهم يتبادلون الأحاديث  
المختلفة بينهم،

أما هو فقد عاد لكلّ ما مرّ به اليوم من حديث مع "كريستين"  
وما صاحبه من تصورات وهواجس وذكريات، كيف يمكن  
للإنسان أن يتجرّد من وعيه وعقله الباطن أو ما يمكن أن يسمى  
بالشعور المتجرّد من الذات؟

الشعور الذي يغمر الإنسان ليشمل كل ما هو خارج عن ذاته  
وأنايته!!

إنتبه فجأة عندما جاءه إبنة "جوناثان" بقدرح الشاي،،  
وسأله إن كان لا يمانع في مجالسته وإختراق خلوته التي كانت

واضحة عليه،،

فقد لاحظها الجميع وكانت "نيكولا" قد أشارت لها عندما كان قد إنفرد عنهم،، وأفهمت إبنتها وإبنتها أن فكره مشغول بهذه الدعوة التي يعتقد أن نتائجها لن تكون سهلة على الجميع،، وأنها تشاركه هذا القلق!

جلس "جوناثان" على الكرسي المقابل لوالده وبعد لحظات من الصمت بادره والده متسائلاً بصورة يبدو عليها بوضوح عدم التركيز على أهمية سماعه لأي جواب:

- ماذا ستكون خطوتكم الثانية بخصوص مشروع عملكم؟
- ..... لا شيء لحد هذه اللحظة،، لا بد لنا من الإنتظار لكي نستطيع القرار،، فيما لو أننا نحتاج لتغيير أو إضافة تقنية جديدة للبرنامج،، والحقيقة أنني لا أعلم،، فالعالم اليوم يتجاوب مع التطورات بشكل يخالف في كثير من الأحيان منطق التوقعات.....
- .... منطق التوقعات.... نعم،،، منطق التوقعات،، هذا هو ما لا يمكن للعالم الجديد أن يتعامل معه أو أن يتقبله...
- واضح يا أبي أنك تفكر كثيراً بقضية هذه الدعوة للإنتحار،  
هل تعتقد أنها ستحدث فعلاً؟

وإن حدثت،،،

فهل تتوقع أنها فعلاً ستكون واسعة الإنتشار؟

- ..... قد أستطيع أن أجيب على سؤالك غداً!!..!!
- ..... وماذا سيتغير في الأمر غداً؟
- ..... ستكون لدي القدرة على الرؤية بصورة أوضح،  
نعم يوم غد،،  
سأكون أكثر قدرة على أن أجيب نفسي وأجيبك!!

\*\*\*\*\*

## "كريستين" ومعركة الأمل الأخير

في صباح اليوم المنتظر أن يكون فيه لقاء المنتحرين، مع الناس الآخرين المتوقع أن يحضروا التجمع للتعرف على ماهية هذه الدعوة، مع العدد الكبير المتوقع من الإعلاميين الذين يسعون لتغطيتها إعلامياً، إضافة للناس الذين سيحضرون بالتأكيد بدافع الفضول والرغبة في معرفة ما هو غير معتاد من الأمور، في صباح هذا اليوم إستيقضت "كريستين" بحيوية متمزج بأمل في داخلها يدفعها لتعتقد بأنها ستنجح في إبعاد شبح التفكير بالانتحار عن زوجها "جون"، وأن تنهي هذا الكابوس وللأبد،،

إستيقضت وكان "جون" نفسه مستيقضاً قبلها، وقد نزل للطابق الأرضي من منزلهم، وجلس في غرفة الجلوس وبيده قذح القهوة، التي إعتاد أن يأخذها قبل الإفطار، إن كان يفطر، فهو



الفترة الصباحية،،،

وبعدھا إن إضطرت للتأخر أو عدم الذهاب،،،  
أُتصل بالمدير،، أعني "بوب" عندما أتوقع أنه سيكون  
موجوداً في المكتب،، لأخبره بعدم قدرتي على الحضور  
هذا اليوم،،،

يا إلهي،،، كم أتمنى أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه  
قبل هذه الأيام،، أتمنى أن يكون هذا اليوم يوماً فاصلاً  
لكي تعود حياتنا لسابق عهدھا،،،

قالتھا وقصدت أن يسمع "جون" ما تقوله،،  
وقد ظلّ "جون" صامتاً ولم يرد بتعليق،، أي تعليق...

عندما حانت ساعة مغادرتهم المنزل باتجاه منزل والديھا،،  
تولت "كريستين" قيادة السيارة، وجلس "جون" إلى جانبھا،  
وكانت تبدو عليه علامات الشعور بالإحباط النفسي والضعف،،  
بل،،، الإنهيار الذاتي،،،

كان يشعر وكأنه يتقدم بنفسه باتجاه المصير الذي لا يرغب به  
أحد لنفسه،،،

لقد كان في داخله يشعر بأنه ربما قد تعجل في تصريحه لزوجته  
بأنه ينوي مشاركة هؤلاء العازمين على الإنتحار،،  
ولأنه صادق مع نفسه،،،

كان يشعر بما يشبه الإلتزام بتطبيق ما قد أعلن أنه مقتنع به  
ودعى زوجته لمشاركته فيه مع طفليهما،،  
لقد شعر الآن فقط بأنه قد تعجّل في تصريحه وتحمسه لتأييد هذه  
الدعوة،،  
وهو فعلاً كما قالت "كريستين" ليلة أمس أنها لا تعرف ما هذه  
الدعوة عندما سألتها هل يعرف من هم الذين يدعون لها؟  
لقد أصبح الآن يعيش حالة عدم إحترام الذات ليس فقط لأنه  
عاطل عن العمل،،  
ولكن أيضاً لأنه قد لا يستطيع تنفيذ ما قال أنه مؤمن ومقتنع  
بتنفيذه،، وأصبح يحاول أن يجد مخرجاً لنفسه،، لكنه مايزال  
ينظر لحياته بأنها لا جدوى منها،،  
فهو الآن يعتبر نفسه عالية على زوجته،،  
ولا يعلم إلى متى يمكن أن يستمر هذا الحال،،،  
الآن زوجته متمسكة به،،  
ولكن من يضمن كيف ستكون الحال بعد فترة أخرى،،  
فترة طويلة يقضيها بلا عمل،،  
وهو أمر مرجح نتيجة لما يعرفه مما يدور حوله من أوضاع  
اقتصادية،،،  
هل من العدل أن يعيش الإنسان مثل هذه الحالة من الصراع مع  
النفس،،؟؟؟؟  
ماذا يمكن أن يفعل من يريد أن يبقى محتفظاً بإحترامه لذاته..؟؟

هل من سبيل حقيقي لأن يحتفظ الإنسان بإحترام واقعي وحقيقي لذاته...؟؟

ظلت "كريستين" صامته وهي تقود السيارة باتجاه بيت والديها، لم تكن مستعدة للكلام على ما يبدو في أي موضوع مع "جون" أثناء هذه الفترة،،

فقد كان فكرها مشدوداً لما يمكن أن تراه هذا اليوم في التجمع،، وكيف سيكون موقفها،،

وكيف ستكون ملاحظاتها باتجاه ما يعزز من رأيها وموقفها من هؤلاء،،،،

فقط لكي تبعد "جون" عن إقتناعه بأن الإنتحار هو المخرج الوحيد له ولعائلته من هذا الوضع السيئ الذي يعيشه،، ظلت تحاول أن تتصور كيف سيكون شكل هذا التجمع،، ومن سيكون الناس المتحدثين فيه،،

وكم سيكون كلامهم (معقولاً) و(منطقياً)؟؟

كيف يمكن لإنسان أن يتحدث لكي يقنع الناس بأن الإنتحار فيه حلّ لمشكلة شخصية،، إجتماعية،، إنسانية،،؟؟

لن تكون مهمة سهلة،،

كيف يمكن أن يتلقى الناس كلام المتحدثين؟؟

هل ستكون هنالك فرصة لسؤال أي من المتحدثين؟؟

والأهم،، الأهم جداً هو أين سيكون موقع "جون" من هذا التجمع،؟؟  
هل سيكون مع (الدعاة) لهذا الإنتحار الجماعي، أم سيكون موقعه مع الذين سينتحرون؟  
ثم كيف، وأين، ومتى،، يمكن أن تبدأ هذه الدعوة بالتنفيذ؟  
هل يمكن أن تكون مجرد كلام بدون أن يجرؤ أحد على تنفيذه...؟؟

كان هنالك الكثير، الكثير من الأسئلة التي دارت وإستمرت تدور في رأسها حتى وصولهم لبيت والديها،، وعندها أوقفت سيارتها أمام باب كراج البيت، ولاحظت أن سيارة أبيها لم تكن موجودة،،

وبعد أن خرجا كلاهما من السيارة و تقدمت لكي تدق جرس الباب،، سرعان ما فتحت أمها الباب لهما وكانت محاطة بحفيديها "سوزان" و "تومي" اللذان أظهرا فرحهما الشديد بلقاء والديهما وسارعا بالتسابق بسرد الحديث عما دار بينهما وبين جدّيهما ليلة أمس وكيف أنهما إستمتعا بوقتتهما معهما،، إحتضن "جون" إبنته وإبنه وكأنه يحرص أن يكون إحتضانه لهما سبباً قوياً لأن يتمسك بما يُبقيه معهما مدة أطول،،،  
أطول كثيراً مما بدا له في الأيام القليلة الماضية عندما لازمت

فكره هو اجس ومخاوف مفارقة زوجته وطفليه، بعد أن يفارق الحياة، وبإختياره،،

كانت لحظات شعر فيها أنه مازال يتحكم نوعاً ما بالقدرة على الإختيار،،

وقبلها شعر بالقدرة على التمييز بين الأشياء،،

بين كل الأشياء السيئة والحسنة على حد سواء،،

شعر أنه ليست كل الأشياء السيئة يجب رفضها،،

كما أنه ليست جميع الأشياء الحسنة نحتاج أن نحفظ بها ونُصِرَّ على حيازتها،

إنها المعادلة الصعبة الأخرى في هذه الحياة!!

بادرت "كريستين" بسؤال والدتها عن والدها، أين هو؟

وجاءها جواب أمها أنه أعجبه الخروج مبكراً مع مجموعة من

أصدقاءه في رحلة للنهر القريب منهم، لمراقبة هجرة سمك

(السامون) الذي يهاجر سباحة عكس تيار الماء وصولاً لموطن

تزاوجه،،،

رحلة (الانتحار) الطويلة هذه التي يقوم بها هذا النوع من السمك

لمواقع نهايته،

إذا ما إستطاع بلوغ هذه المواقع التي يتم التزاوج فيها،،

حيث أن الكثير منه يتعرض للإختطاف من قبل الطيور

الجارحة عندما يعبر خلال مناطق المياه الضحلة من النهر،،  
والبعض منه يقفز من الماء في محاولة لتخطي حواجز  
الصخور، ليقع بعد هذه المحاولة على صخرة أو خارج مجرى  
الماء الضحل ليبقى يصارع الرغبة العارمة في العودة للماء،،  
العودة للحياة، أو ما تبقى له من حياة،،  
بالعودة للماء،،

محاولات يائسة تفشل في معظمها،،  
لينتهي السمك إما بأن يموت لخروجه من الماء،،  
أو أن يلتقطه طير جارح أو واحد من أنواع الحيوانات البرية  
من أكلة اللحوم التي تنتظر هذه الفرصة على جانبي النهر...!!  
هذا شكل آخر من أشكال الدعوات للإنتحار التي تدعو لها  
الطبيعة،،

والتي تحوي من الغرابة بالتأكيد ما هو أكثر من دعوة هؤلاء  
الذي فقدوا الرغبة في الحياة لعدم مكافأتها لهم ولجهودهم  
المضنية،،

وما زال الكثير في هذه الحياة مما لا نستطيع سبر أغواره ليومنا  
هذا،

ونحن لا نقف منه إلا موقف المتسائل المتعجب!

إقتربت والدة "كريستين" منها لتهمس في أذنها أنها سعيدة بأن  
والدها يجد متعة في السنوات الأخيرة مع البعض من أصدقاءه

في الخروج لرحلات قصيرة للتنزه والإستمتاع بالطبيعة،  
فقد مرّت عليه سنوات كانت "كريستين" نفسها تعلم بعض ما  
كان يعتري والدها فيها من كآبة وأفكار لا يمكن تفسيرها، من  
دون الرجوع لمشورة طبيب نفساني،،،  
حتى وصلت للتصريح لها بأنها سعيدة أن هذه (الدعوة  
للإنتحار) لم تحدث قبل ثلاثين أو أربعين عاماً،،  
والآ،،، لكان أبوها واحداً من المتحمسين لها!

- هل تعنين ما تقولينه فعلاً.....؟
- هل أن حالة أبي كانت بذلك السوء؟؟
- هذا الأمر يزيد من حيرتي وخوفي!
- ولماذا يثير خوفك الآن؟
- ....لا، لا شيء مهم، أنا فقط أستغرب مما تقولينه لأنني  
لم أكن أتوقع أن حالة أبي كانت يوماً بهذا السوء!
- بل كانت،،، وأنا التي لم أترك مجالاً لك أن تعلمي مقدار  
سوءها!
- ....إذن مافعلته أنا عندما جلبت "سوزان" و"تومي"  
ليبقيا معكما ليلة أمس،، كان شيئاً جيداً....  
أعني،،، أنكما قد إستمتعتما معهما،، رغم أنني أعلم أنهما  
لا بد وقد سببا لكما بعض المتاعب!

إستطاعت "كريستين" بلباقة أن تتلافى موضوع التشابه بين ما فعلته أمها من عدم ترك الفرصة لإبنتها "كريستين" أن تعرف ماذا كانت عليها حال أبيها في فترة طفولتها،، وبين ما تفعله "كريستين" نفسها الآن من عدم ترك الفرصة لطفليها أن يعرفا شيئاً عما يدور في ذهن أبيهما،،

ردت والدة "كريستين":

● لاتقولي ذلك،، فنحن فقدنا الكثير مما كنا نستمتع به في حياتنا،،

ولم يبق لنا غير أشياء قليلة نحاول أن نسد بها فضاء كبيراً من الفراغ الممل و،،،، القاتل البطيء!

نظرت "كريستين" لساعة يدها لتعرف كم هو الوقت،، كانت حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً، وإذا بتلفونها يرن،، وكان "بوب" على الخط عندما ظهر إسمه على شاشة التلفون،، فأدركت أنه يسأل عن سبب عدم حضورها للمكتب،، وكانت تعلم أنه كان عليها أن تكلمه لتخبره عن عدم حضورها للمكتب هذا اليوم،،،،

لكنها كانت تعلم أيضاً أنه لن يكون حدياً معها لأي سبب كان خصوصاً عندما يعلم أنها ستصحب زوجها لهذا اللقاء كمحاولة للتأثير على قراره وتخليصه من فكرة وكابوس التفكير

بالإنتحار،،

فتحت سماعة التلفون لتجيب:

- صباح الخير،، أعلم أنني لم أتصرف بلياقة....
- ليس هذا ما أريد ان أسمعه منك،،،، لكنني أردت أن أطمئن على أن كل شيء على مايرام،،

سارت بعيداً عن المكان الذي فيه والدتها وزوجها لكي تستمر بالحديث مع "بوب" ولتقول له:

- أنا آسفة لأنني لم أتصل بك لأطلب منك أن تسمح لي بعدم الحضور اليوم وذلك لأنني سأذهب مع "جون" إلى موقع اللقاء الذي أخبرتك عنه،،  
أو في الحقيقة لا أذكر إذا ما كنت فعلاً أنا قد اخبرتك عنه،،

اللقاء الذي سيجمع بين من يدعون،،،، لِمَا،،، تعرف ما أعنيه،،

- نعم،، نعم،، أعرف ذلك،،، وأنا كما قلت لك فقد إتصلت بك للإطمئنان عليك وعلى "جون"،،، وليس لأمر آخر،،،  
و نعم،، الأمر الآخر هو أنني أنا نفسي لم أذهب للمكتب اليوم ولا أعتقد أنني سأذهب لما تبقى من اليوم،، وقد إتصلت بالمكتب وعلمت أنك غير موجودة هناك ولهذا

- إتصلت بك على تلفونك (الموبايل)،،،  
أخبريني كيف تسير الأمور مع "جون"،،،؟  
وماذا تعتقد أنك ستفعلين هناك في موقع اللقاء...؟
- .... لا أعرف الكثير الآن،، ولكني لابد لي من الذهاب،،  
إنها معركتي الشخصية معهم،،  
لن أتركهم يأخذونه مني،  
لابد لي من أن أكون بجانبه،،  
أنا أراه ينهار تدريجياً دقيقة بعد أخرى،،،
  - هذه هي إبنتي الكبيرة،،  
سأكون دائماً بجانبك،،،  
أنا أشعر أنها معركتي أنا أيضاً،،  
قد لا أعلم لحد الآن السبب الحقيقي الذي يدفعني لذلك،،  
لكنها بالتأكيد معركتي التي لابد لي من الفوز بها أنا  
أيضاً..!
  - سأبذل ما أستطيعه،،  
وأرجوا أن أوفق في ذلك،،
  - أعلميني ما سيحدث معك، أنا بانتظار تطورات أخبارك!

إنتهت المكالمة بينهما،، وصمتت "كريستين" واقفة في مكانها  
للحظات،،

تحاول أن تسترجع تركيزها ولكي تخطوا خطواتها التالية،،،

هي مازالت مستغربة من شدة إهتمام "بوب" بهذا الموضوع، هل هو مهتم فقط لأنها هي جزء من ساحة هذه الدعوة متمثلة بإنخراط تفكير زوجها "جون" بهذه الدعوة؟

لا، لا،، أبدأ فقد كان "بوب" مهتماً بمعرفة أخبارها حتى قبل أن يعرف أن "جون" زوج "كريستين" سيكرتيرته في العمل من الناس المقتنعين بهذه الدعوة،،، وماذا يعني ذلك؟

وما شأنه هو لكي يهتم لما يفكر به أو يسلكه زوج سيكرتيرته في العمل؟  
شيء فيه الكثير من الغرابة والحيرة!

إسترجعت تركيزها وعادت للغرفة التي بقي فيها زوجها وأمها يتحدثان عندما كانت هي تتحدث مع "بوب" تلفونياً، أما الأولاد فقد إنشغلوا عنهم ببعض الألعاب،،

فأشارت "كريستين" إلى "جون" متسائلة إذا ما كان الموعد قد حان،،

وقصدت أمام أمها أنه موعد مقابلة له لأجل فرصة عمل،،،

ردّ "جون" متلعثماً وقال:

• آ آ آ، نعم أعتقد أننا يجب أن نتحرك،،  
لكي نلحق موعد المقابلة!

إستطاعا التملّص من طفليهما بعد أن وعداهما أن يأخذاهما إلى  
حديقة الحيوانات في عطلة نهاية الأسبوع!!

في الطريق إلى التجمع،، كان "جون" كما هو ساكتاً واجماً كئيباً  
لا يبدو عليه الإهتمام بأي شئ يمرّون عليه أثناء مسير  
السيارة،،

كان كمن يأخذونه لغرفة الإعدام،،  
بملابسه الشخصية الإعتيادية،،  
كان بائس المظهر،،

أما هي فقد عادت للتفكير بما يمكن أن تراه في هذا التجمع وماذا  
يمكنها أن تفعل،،  
مضافا لذلك ما تحدث به معها "بوب"،،

لم يكن يخطر على بال "كريستين" أن بوب نفسه كان في  
طريقه لنفس التجمع!!

\*\*\*\*\*

## "بوب" بين الماضي،،،، وحضور التجمع!!

في السيارة، في طريقه لموقع التجمع، في أكبر ميدان في المدينة ذات السمعة المالية والمهنية العالمية، كان التوتّر بادياً على "بوب"، لم يكن ذلك الشخص الذي يتحكم بحركات يديه،، كان مرتبكاً، متردداً،،

شعر للحظات بأن الجو خانق داخل السيارة،، ضغط على زر مكيف الهواء،،

شعر بارتياح نسبي،، لكنه سرعان ما إنتبه إلى أن الجو بارد نسبياً،، فالشهر هو أواخر (تشرين الأول/أكتوبر)،،

وفعالاً شعر بلسعة برودة فعاد وضغط الزر ليطفئ المكيف،، بعدها بلحظات أحس برغبة في فتح نوافذ السيارة لكي يستنشق هواءً،، بارداً،،

لكن التيار كان أقوى مما يتحمل إستمراره...

عاد ليغلق نوافذ السيارة،،

وكم تمنى لو أن هنالك مكاناً قريباً يمكنه إيقاف السيارة فيه لكي يخرج ليسير على قدميه باتجاه الميدان،، مكان التجمع،،، رغم أن المسافة تتجاوز ما اعتاد أن يسيره على القدمين في مثل هذه الزحمة وإحتمالات سقوط المطر،، فقد كان الجو غائماً، وهو لا يعرف ما هي التوقعات للجو هذا اليوم،، أخيراً قرّر أن يوقف سيارته في أقرب موقف للسيارات تحت الأرض،، لكي يواصل طريقه إلى موقع الميدان سيراً على قدميه،،

وصل للشارع العام المزدهم بالناس بعد خروجه من موقف السيارات،، وبدأ سيره باتجاه الميدان،، هذه هي مدينته التي عرفها جيداً،،

التي بدأ فيها رحلة (نضاله) أو في الحقيقة (قتاله) في معركته الكبرى،،

معركته الأولى في حياته والتي يتمنى أن تكون الوحيدة،، معركته في مواجهة الكثيرين،،

الكثيرين ممن كانوا يقاتلون لنفس الغرض الذي كان يقاتل هو

من أجله،،  
بلوغ الدرجة العالية التي يسعى لها كل إنسان،،  
أو بكلام أصح،، البعض من الناس وليس كل الناس،،  
ربما كل إنسان تتوفر فيه صفة الإستعداد لسحق الآخرين،،  
الإستعداد للتجاوز على حقوق الآخرين،،  
الإستعداد للتزييف والغش والتزوير،،  
الإستعداد لكل أمر سيئ يمكن أن يوصل للغرض المطلوب،،!

أليس العرف السائد في الطبيعة كلها أن البقاء للأصلح،،،؟  
وكيف يمكن أن يكون الأصلح من دون أن يستطيع أن يترجم  
كل قدراته للفوز في النهاية،،؟  
ألا يقولون أن الحرب خدعة،،،،؟  
هل يمكن أن تكون في الحروب معايير شرف؟  
معايير رجولة وفروسية ومروءة؟

أم أن هذا هو الحديث الهراء الذي لا صحة له في الواقع؟

إستمر في سيره مطرقاً رأسه ينظر للأرض،،  
يتجنب النظر في وجوه الناس،،  
وكانما الناس الذين يسرون بالإتجاه المعاكس له،،  
يعرفون عنه ما يدور في باله من ذكريات،،

ذكريات مفتوحة لا تقتصر على أحداث معينة،  
لكن هل يمكن أن يكون ذلك صحيحاً وحقيقياً،؟  
هل يمكن أن يكون "بوب" قد تجاوز على حقوق الآخرين،،  
أو أنكرها؟  
هل يمكن أن يكون "بوب" قد سحق بلا رحمة، آخرين منافسين  
له في عمله؟

هل يمكن أن يكون "بوب" قد تسبب في إنتحار أناس كانوا قد  
خدموه وساعدوه ليبلغ درجته هذه...؟؟

ماذا يمكنه فعله لكي يمحي ذكرى ماضٍ عصي على النسيان؟؟

\*\*\*\*\*

## تجمع المنتحرين

وصلت "كريستين" و"جون" لموقع الميدان بصعوبة، وبعد أن اضطرا أن يوقفا السيارة في شارع فرعي بعيد نسبياً، ويسلكا الطرق الفرعية باتجاه الميدان الشهير الذي سيكون فيه التجمع، وكان ملحوظاً لهما أن هنالك الكثير من الناس يشتركون معهم في مسيرة يتوجهون فيها لنفس الوجهة،،، على ما يبدو،،

كانت صيحات منبهات سيارات الشرطة والإسعاف تنطلق بين فترة وأخرى لتؤكد أن الأمر غير إعتيادي،، وأن الشرطة متواجدة أكثر من المعتاد في إتجاه الميدان،،  
أمسكت "كريستين" بيد "جون" وهما يسيران تارة بهمة، وتارة أخرى بتثاقل،،،

وكان إمساكها بيده بحجة الضرورة لتجاوز الزحمة عند إختراق مجاميع الناس الذين يسيرون بتثاقل على الرصيف،،

ولكن الواضح أنها كانت بحاجة في هذه اللحظة أن تشعر بالأمان أكثر من خلال قربها منه،،  
في الحقيقة أن كلاً منهما كان يشعر في داخله بالحاجة لأن يرفع من معنوياته بصحبة الآخر،،  
هذا الشعور الذي لطالما إحتاجه الإنسان الطبيعي، رغم ما يمرّ به هذا الإنسان خلال أيامه من حالات إرتفاع أو إنخفاض في معنوياته!

بدأت تلوح لهما الأشجار العالية المحيطة بالميدان الواسع،،  
لاحت من بعيد من بين ما يمكن أن تخترقه أعينهما من فسح ضيقة بين العمارات الشاهقة،،  
وكانت الزحمة وكثرة الناس تزداد كلما تقدما أكثر بإتجاه مركز التجمع،،  
حيث من المتوقع أن يكون هنالك ما يشبه المنصّة لمن ينوي التحدث للناس عن هذه الدعوة،،

لابد لمن سيتحدث أن يكون صوته مسموعاً،،  
لابد من وسيلة من مكبرات صوت لكي يسمع الناس الذين سيحضرون التجمع كلمات الذين سيتحدثون عن أسباب هذه الدعوة،،  
لابد من أن يكون هنالك حديث عن أسبابٍ معلنة لها،،

حتى لو كانت هنالك أسباب خفية،  
أسباب لا يمكن الحديث عنها في هذا التجمع الغامض،  
الغامض بكل ما فيه!!

وصلا لأطراف تجمع الجماهير المحتشدة، لا يمكن معرفة من  
هو المشارك في الدعوة والمعتقد بها، ممن هو متفرج فقط،  
ممن يسجل ملاحظات في داخله من خلال نظراته إلى من  
حوله،، متسائلاً أين هم المنتحرون،، وأين هم المتفرجون،،  
فقط الإعلاميون هم الواضحون،، فهم يحملون معهم هوياتهم  
المعلنة،، الكاميرات ومايكروفونات البث المباشر والتسجيلي،  
إنهم الراقصون في كل حفل،، في كل عرس،، وفي كل مأتم،  
في كل فرح وفي كل مأساة،،

تُرى هل إستطاع هذا الإعلام بما يمتلكه من قدرات وتجهيز،  
هل إستطاع أن يقوم بعمل إصلاحي في شأن من الشؤون،،؟  
ربما،، لكنه من الصعب تذكر أي شأن من الشؤون العامة التي  
تهم الناس،، الآن..!

إلى الطرف الآخر من الناس المتجمهرين،، وصل "بوب" بعد  
أن كانت خطواته قد بدأت تتناقل كلما إقترب من الناس  
المتوجهين بأنظارهم نحو وسط التجمع،،

بانتظار ظهور من سيتحدث لهذا الجمع،،  
ولم يكن "بوب" بأقل تحفزاً من هؤلاء المتجمعين والذين  
ينتظرون بشغف من يمكن أن يكون المتحدث،،،،؟  
وعن ماذا يمكن أن يتحدث،،؟  
ومالذي يدفعه ويدفع من يأتلفون معه في هذه الدعوة،،  
لإختيار الإنتحار حلاً لمشكلاتهم؟؟  
بل ربما كان أكثر تحفزاً من الكثير من الحاضرين،،،  
هناك شيء ما يجعله مهتماً هذا القدر من الإهتمام بهذه الدعوة...  
للإنتحار!!

بين جموع المتجمهرين، بدت مجموعة من الرجال المتجمعين  
حول أنفسهم قرب المنصة، فيما يشبه تجمع لاعبي كرة القدم  
الأميركية للإتفاق قبل مواصلة اللعب، ثم ما لبث أن إنشق عنهم  
أحدهم وتوجه صوب المنصة البسيطة التي كانت عبارة عن  
مجموعة من الطاوات الصغيرة المرصوفة مع بعضها، ثم بعد  
أن إعتلى المنصة، تقدم نحوه واحد ممن كانوا معه في هذه  
المجموعة وناوله مكبراً للصوت،،

إلتقط مكبر الصوت،،  
ثم بدأ يدور بخطوات قصيرة في حلقة صغيرة لكي يغطي  
بنظره ما يستطيع من الحاضرين في هذا التجمع من حوله،،

ثم بعد دقيقة أو أكثر رفع مكبر الصوت وقربه من فمه،،،  
لكي يصرخ بصوت قوي،،،:

• وداعاً....!

وداعاً أيها الحياة،،،  
وداعاً،،، وداعاً غير مأسوف عليك،،،  
لم نختَر،،، بل لم يكن بمقدورنا الإختيار،  
لم يسألنا أحد يوماً ما،، ما هو إختيارنا؟  
لقد أجبرنا على أن نكون ممّن يشكّلون هذا التكوين الذي  
عرفنا ممن سبقونا أن إسمها (حياة)!!

لا نعرف من أعطاهها هذه التسمية؟  
لابد أنه أحد الذين رسموا شكل هذه الحياة،،

هل هو مَلِكٌ قديم قَدَمَ التاريخ؟؟

أم أنه إمبراطور فرض رغباته على من خضعوا له؟؟

أم ربما يكون الإله الذي لا نعرف شكله!؟

ولا نعرف حقيقة رغباته ونواياه!!

ولا نعرف إن كان يفضل البعض من مخلوقاته ويستهيبن  
بالبعض الآخر؟؟  
ولا نعرف إن كنا قد وُجدنا في هذه الحياة لنملاً  
الفراغات؟؟  
وما أكثر الفراغات في هذه الحياة البائسة الظالمة،، نعم  
هي هكذا (بائسة وظالمة)،، تجمع النقيضين،،

قد يستغرب الكثير ممن يسمعونني كيف أنه من الممكن  
لشيئٍ واحد أن يكون في نفس الوقت (بائساً وظالماً)!!  
شيئٌ يصعب تحقيقه،،  
لكن الحياة إستطاعت أن تحققه،،  
إستطاعت تحقيقه معنا،،  
نحن،، ضحاياها،،  
فكانت بائسة كلِّما واجهتنا،،  
وكانت ظالمة كلِّما فرضت قوانينها علينا،،

في هذه اللحظات، وفي غمرة تفاعل العواطف مع الكلمات  
القوية التي يُطلقها المتحدث،،  
تلك الكلمات التي كانت وكأنها ألعاب نارية تضيئ الأركان في  
نهار كئيب تُغطي معظم سمائه الغيوم،،

كان "جون" يرتعش إنفعالاً وهو يحاول أن يجمع بين تركيزه على قوة كلمات المتحدث،، وبين إحساس بدأ يغمره ويدفعه للتشتت بين هذه الكلمات التي تعجبه، وبين ما يبدو له أنه قد رأى من قبل مثله،، ما يشبهه،،

عندما كان يجلس وحده في البيت، يبحث عن وظيفة على شبكة المعلومات (الإنترنت)،، عندما كان بين فترة وأخرى يفتح صفحة (اليوتيوب) لمشاهدة أفلام وثائقية،

حيث كان يميل لمشاهدة تأريخ (الثورة البولشفية) عندما كان "النين" ومن خلفه رفاقه "ستالين" و "تروتسكي" وغيرهم، يعتلون منصاتاً مشابهة لهذه،،

وكان "النين" يتحدث للناس بدون مُكبر الصوت،، يتحدث عن معاناة الطبقة العاملة،،

وعن إستغلال الرأسمالية لهم،، وكان كل من يشاهد هذا المشهد يُبدي إعجابه بمقدرة ذلك الرجل الذي أنشأ قوة عظمى،،،

بعد مرور سنوات قليلة على إعتلاءه تلك المنصة،، بعد أن نجحت الثورة،،

ولكن كيف نجحت الثورة؟؟

ومن الذي كان فعلاً وراء نجاحها؟؟

وهل كانت ستنتج لولا تضحيات الآلاف في البداية،،  
بداية تكوين الدولة الجديدة،،؟

وهل كانت ستؤدي تلك الثورة لوحدها لإنتاج دولة عظمى،،،  
لولا أن "ستالين" فيما بعد، كان قد قرّر أن (يُنهي حياة!)  
الملايين ممن جاء بهم حظهم العاثر في مواجهة عنفه وطغيانه  
وسطوته وشكوكه فيمن حوله...؟

هاهو المتحدث يتمايل أثناء حديثه مستخدماً ما يبدو أنه يعرفه  
جيداً من لغة (البدن)،،،  
ليحقق تأثيراً أكبر في المستمعين،،  
أو ربما في البعض منهم،،

عاد "جون" لرؤيا أوسع،، فقد لاحت له من خطاب المتحدث  
المُعْتَلِي للمنصّة،،،

نبرات ولمحات من خطابات "هتلر" وربما "موسوليني" عندما  
كانوا يتهيأون لحرب عالمية كان ضحيتها الملايين من البشر،،

بشر لم يكونوا معترضين على شكل الحياة التي يعيشونها،  
وقد لا يكونوا مؤيدين أو معارضين لأولئك (القواد العتاة)  
البارعين في تأجيج التأييد لمواقفهم،  
لعقائدهم ولحروبهم،  
حروبهم التي لطالما إعتبروها نضالات ضد قوى خفية،  
لم يرها أحد،  
وقوى أخرى علنية،،،  
كتبوا هم على أنفسهم أن يظلوا يخشونها دوماً!!

تُرى هل سيكون هذا المتحدث، من المنتحرين،؟  
أم أن دوره هو دفع الآخرين إلى (الإيمان بقضيته)،،،  
ومن ثم لا يجدون أمامهم غير،،،، (الانتحار)؟

تُرى كم من مثل هذا المتحدث يعيشون بين جنبات هذا العالم،؟

تُرى كم من أمثاله يلقون أذاناً صاغية تستمع لهم وتتفاعل  
وتتعاطف مع ما يدعون له،،،؟

تُرى هل كنت محقاً بإقتناعي بهذه الدعوة و(إيماني) بجدوى  
تنفيذها،؟

أم أنني كنت مدفوعاً بدافع هذا الظلم وهذا الغبن الذي نعيشه؟؟

ولكن،،، أليس كل ما قاله صحيح،،،؟!؟

هل هناك من يستطيع أن يرد عليه،،،؟!؟

لا أعتقد أن من الممكن أن يردّ عليه أحد،،!

أي أحد بردّ حقيقي مقنع،،،

وإلاّ لما تجددت مثل هذه الدعاوى بين حين وآخر...!

أليست لدعاوى الحروب أسباب مقنعة،،،؟!؟

ألم يكن "الينين" على حق في معظم ما كان يقوله؟

ألم تكن شكوى "هتلر" من سوء حال شعبه أمراً واقعاً كان

يشهده العالم وتغافل عنه وعن ما يمكن أن يؤدي له،،،

ألم يتعاونوا ويتشاركوا كل المحيطين ببلده بإهانتته وإذلاله بعد

الحرب الأولى؟!؟

من هو الذي يفصل بين المتنازعين في هذا العالم؟!؟

هل هو الحق؟؟ أي حق!؟

حق الغالب الذي يفرضه على المغلوب،،!

أم حق المغلوب في عدم قيام الأقوياء بسحق الأبرياء ممن لم تكن لهم يد ولا حيلة في نصرته المعتدي،،؟

خلال هذه التجاذبات الشعورية التي كانت تنتاب "جون" والتي كانت تبدو على وجهه،، كانت "كريستين" تراقبه وهي تمسك بيده،، بشدة،،،

وكانت تشعر بقوة إمساكه بيدها،،

كما هو تمسكه بالحياة،،

وكانت تلك نبضات حياة أعادت له أملاً ورغبة في أن لا يكون وقوداً لمطامح الآخرين!

في الوقت الذي هو يرفض سطوة الآخرين على العالم،

ويحاول أن يعاقبهم بالتخلي عن نفسه،،

عن حياته،، وعن زوجته وأبناءه،،،

ولها،، كانت شدة قبضته بيده على يدها،،

تعني لها الكثير من الأمل الذي بدا واضحاً أنه سيُزيح هذا

الكابوس الذي عاشته هذه الأيام الماضية،،،

أطرق "جون" برأسه، ينظر إلى الأسفل وسط هذا الحشد،  
بينما المتحدث مازال مستمراً في سرد حديثه، ويزداد على ما  
يبدو قوة وتأثيراً في الناس!!  
وكان البعض من المحتشدين ممن لا يُعرَف إذا ما كانوا ممن  
ينوون فعلاً الإنتحار،  
أما أنهم من جنود إعلام هذه الدعوة،  
كانوا يُبدون تفاعلهم وتجاوبهم مع المتحدث بحرارة،  
حرارة فيها الكثير من الإنفعال!!

هذا الإعلام الذي يُصرّ أن يتواجد في كلّ مكان،  
يبدو أنه قد تمكن فعلاً من سحب البساط من تحت أقدام مسيرة  
البشرية،  
فأصبح الإعلام، والخبر،  
الصحيح والملفق، على حد سواء،  
أصبح حاكم الساحة،  
حاكم لما حدث في الأمس وما يحدث اليوم وما سيحدث في الغد  
وبعد الغد،  
وأصبح من الحتمي على الناس العيش مع ما يُشيعه بينهم هذا  
الإعلام،

في الطرف الآخر من التجمع،  
كان "بوب" يقف مصغياً لكل كلمة يقولها المتحدث،،  
يصغي له وقد علت وجهه علامات شدّ و جدّ،،  
يمتزج بهما إستفهام يتمثل بتقطييه حاجبيه،،  
يُدلّل أنه بانتظار ما يمكن أن تنتهي به خطبة المتحدث،!  
لم يكن ما يسمعه من كلام،، (خطبة)،، المتحدث جديد على  
مسامعه،،

غير أنه يسمعه الآن من شخص لا يعرفه،،!!  
شخص، لا يعرف إسمه،،  
شخص، لا يعرف ما هو غرضه ومُرادُه،،  
شخص، لا يعرف إلى أي مدى من العقول سيصل إليها كلامه،،  
شخص، لا يعرف كم سيؤثر في الناس،،  
شخص، كان يتمنى لو إستطاع أن يعرف عنه أكثر مما سمع  
منه في هذا الموقف،،،،

ولكن،،، ولكن،، هل هنالك ضرورة لمعرفة ذلك؟،

إن "بوب" يعرف نفسه جيداً،،، كيف كان قبل أربعين عاماً!

\*

\*

\*

ظَلَّت "كريستين" ممسكة بيد "جون"،،  
رفعت رأسها باتجاهه،،  
بعد أن كانت مشدودة لما تسمعه من خطبة،،  
خطبة هذا المتحدث فوق هذه المنصة،،  
رغم أنها لم تتفاعل معه سلباً أو إيجاباً،  
رفعت رأسها لتلتقي عيناها بعينه،،  
وقد بدا عليه وكأنه يصحوا من نومه لتوّه،،  
وكانه كان بعيداً عن المحيط، بعقله وكل خواطره،،  
كانت عيناها تدمعان بعد أن شعرت بقربهما من خط النهاية،،  
كانت على وشك الإنهيار، أحست برغبة في أن تحتضنه،  
تتوسل إليه أن ينقذها من هذا الكابوس،،  
من هذه الظلمة التي خيّمَت على عالمها كله،،  
لم تعد تشعر بأنها ستستطيع أن تقوم بما هو أكثر مما قامت به،،  
فقد أفلت الأمر من يديها،، حتى جاءت كلماته بصيغة التساؤل:

• متى سيمكننا أن نأخذ الأولاد إلى حديقة الحيوانات،،!!

\*\*\*\*\*